الإسراء والمعراج
فى ضوء القرآن الكريم
ووقفة مع مرويات السيدة عائشة فى هذا الحدث

د / إلهـــام صحصـــاح
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

المقدمـــــة

الحمـــد لله الأول بلا ابتداء ، الآخر بلا انتهاء ، المتفرد بقدرته المتعالى فى سلطانه الذى لا تحويه الجهات ، المنعوت بأعظم الصفات الذى لا تدركه العيون ولا تبلغه الظنون .

الحمد لله حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على عبد الله ونبيه وخاتم رسله المجتبى من خير أنساب البشرية (محمد) ﷺ الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار الذين آمنوا بما جاء به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه .

وبعـــد :-

فـإن القـرآن الكـريم هو كتاب الله العظيم ، ومعجزة النبى ﷺ الخالدة ، ذلك الكتاب الذى أنزله المولى – عز وجل – ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الطـريق القـويم : ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ (الاسراء:٩) .

ولما كانت هذه الهداية تحتاج إلى بعض بيان ومزيد إيضاح ، فقد عُنيت السنة النبوية المطهـرة بهـذا الـدور ، فكشفت ما غمض من الألفاظ ، وشرحت ما التبس من المعانى ، وفصلت ما يحتاج إلى تفصيل ، ومن هنا يُفهم قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل: من الآية٤٤) .

ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه كتاب الله وسنتي) [١] .

ثم كان الصحابة – رضوان الله عنهم – بما عندهم من خصائص العروبة وبما لديهم من علوم الفصاحة والبلاغة ، وبما تميزوا به من شرف الصحبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – أكثر الناس فهمًا لكتاب الله وفقهًا في الدين ، وغوصًا في بحار اليقين ، وعروجًا في معارج العلوم والمعارف حتى بلغوا ذروة الفضائل على بصيرة من أمرهم ، وهدى من ربهم بأوفى ما بلغت إليه الطاقة البشرية في حياتهم ومجتمعهم ، وراثة عن النبوة الخاتمة ، متفاوتين في درجات معارفهم تفاوت درجات قرب أرواحهم من إشراق روحه الأشرف الأكرم ، وتفاوت أقدارهم فيما منح الله كلا منهم من الاستعداد للقبس من مشكاة أنواره) [٢] .

يقول مسروق بن الأجدع أحد كبار التابعين (شاممت [٣] أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم أشبه بالإخاذ [٤] تكفي الإخاذة الراكب وتكفي الإخاذه الراكبين ، وتكفي الإخاذه الفئام [٥] من الناس والإخاذة لو صدر عنهم الناس جميعًا لكفتهم) .

ولما كان هؤلاء هم الذين رفعوا راية الدين القويم ، وبلّغوا ما ورثوه عن الرسول الكريم من الهدى والعلم ، ولما كان لهم من الأثر العظيم على من بعدهم الذين اهتدوا بهديهم ، ولما كان لهم من المنزلة العظيمة في تبليغ الرسالة والفضل العظيم في تأدية الأمانة استحقوا أن يكونوا الأصل الذي يرجع إليه في الأصول والنبع الذي تتفجر منه عيون الإيمان واليقين واستحقوا أن يضرب الله لهم مثلاً في كتابه المبين : (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)(الفتح: من الآية ٢٩) .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٣٠ حديث رقم ١٧٢١٣ ، وهذا الحديث اسناده صحيح . انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٩٥٥ .

(٢) انظر : القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين / محمد الصادق عرجون ص ٤ ، ٥ بتصرف .

(٣) شاممت : قاربت ودنوت . انظر : لسان العرب لابن منظور باب شمم ج ٤ ص ٢٣٣٤ .

(٤) الإخاذ : جمع مفرده الإخاذه وهي غدير الماء . انظر : لسان العرب باب أخذ ج١ ص ٣٧ .

(٥) الفئام : الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه – القاموس المحيط ج٤ ص ١٥٨ فصل اللفاء باب الميم .

ومـــن أجل ذلك وغيره أثنى سبحانه وتعالى عليهم فقال : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١٠٠) .

وقـــد جـــاء فى القـــرآن ما يبين بعض خصالهم وما استحقوا من أجله تلك المنزلة العظـــيمة فقال تعالى :﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِـــنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الحشر٨ ،٩)

وتوافـــر الصـــحابة – رضوان الله عليهم – على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياتـــه يســـتعينون على ذلك – كما سبق الذكر – بمواهبهم الفطرية وملكاتهم السليمة العـــربية من ناحية وبما يشرحه رسول الله ﷺ من ناحية أخرى وهم مع ذلك يضعون نصب أعينهم قوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(ص:٢٩) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر:١٧)

ولما تحمله هؤلاء من صعاب ولما قدموه من تضحيات فى سبيل رفع راية الإسلام ، وإعـــلاء كلمـــة الله وصفهم الرسول بالخيرية فى قولـــــه ﷺ : (خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) [1] .

والصحابة كما نعلم قاموا بجهد مشكور فى تبليغ الدعوة وفعلوا كل ما فى وسعهم لنشر الإسلام وتبليغه للأنام ، ووقع على عاتقهم العبء الأكبر فى الحفاظ على هذا التراث النفيس ابتداءً من جمع القرآن وانتهاءً بتفسير الكثير من آياته ومرورًا بكتابة السنة النبوية .

من أجل هذا اتفقت كلمة العلماء على وجوب قبول أقوال الصحابة فى التفسير – خاصـــة إذا اتفقت أقوالهم – لكونهم شاهدوا الوحى وعاينوا التنزيل ، ووقفوا على الوقائع والأحداث ، وقد رُوى عن الإمام أبى حنيفة (ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ومـــا جاء عن الصحابة نختارنا ، وما جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال) [2] ، وليس

---

[1] انظـــر : فـــتح الـــبارى بشـــرح صـــحيح الـــبخارية - بـــاب فضـــائل أصـــحاب النبـــى – ص – ج٧ ص ٥ ، ومســـلم بشـــرح الـــنووى كـــتاب فضـــائل الصـــحابة ج ١٦ ص ٨٤ .

[2] انظر : التفسير والمفسرون للشيخ الذهبى ج١ ص ١٢٩ .

مـــراده مـــن قوله – رحمه الله – (تخيرنا) ترك أقوالهم بالكلية ، وإنما اختيار ما صح سنده ووافق الثابت الصحيح عن الرسول ﷺ ثم تقديم الأكبر سنًا ، والذى شهد له بغزارة العلم .

وقـــد عـــد العلماء تفسير الصحابة المصدر الثالث من مصادر التفسير بالمأثور بعد تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة النبوية الصحيحة .

والسيدة عائشة – رضى الله عنها وعن أبيها – فسرت الكثير من الآيات وكان لها مواقـــف صـــريحة إزاء تفســـيرات بعض الصحابة ، وتلك المواقف كانت مبنية على فهمها الصـــحيح للكتاب والسنة ، وقربها الشديد من الرسول الكريم ، وهى فوق كل هذا تمتاز بـــالعلم الغزير والتفقه فى أمور الدين ، أضف إلى ذلك ما تميزت به من سرعة البديهة وقوة الذاكرة ، فقد كانت – رضى الله عنها – المنهل الغزير للعلم الوافر وكان مشيخة الصحابة – رضـــوان الله عـــنهم – إذا غمض عليهم شئ من القرآن سألوها فتجيبهم بما تعلم أو بما سمعت من خير الأنام – عليه افضل الصلاة وأزكى السلام .

لذلك شهد بفضلها جُلّ الصحابة وكانوا يقبلون ما تقوله ولا ينكره أحد منهم .

وفى الصـــفحات القلـــيلة القادمة سنتعرف على الحدث أدلت فيه السيدة عائشة بدلوها وهو الإسراء والمعراج ، فنذكر ما ورد عنها فى هذا الشأن ، ونضعه فى ميزان العقل والشرع ، ونحاول التوفيق بين ما جاء عنها وما جاء عن غيرها فى هذا الموضوع .

والمنهج المتبع خلال الدراسة كما يلى :-

١ – المقدمة : وفيها بيان لفضل الصحابة ومنزلتهم العظيمة .

٢ – التمهـــيد : وفـــيه حـــديث موجـــز عـــن حقيقـــية الإســـراء والمعـــراج فى ضوء الكتاب والسنة .

(١) المبحث الأول : ويحوى ترجمة وجيزة للسيدة عائشة – رضى الله عنها – .

(٢) المبحث الثانى : مرويات السيدة عائشة فى حادثة الإسراء والمعراج المبحث الثالث : مرويات السيدة عائشة فى تلك الحادثة .

(٣) الخاتمة : وفيها خلاصة البحث والنتائج المرجوة منه .

والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل

د / إلهام يوسف صحصاح

التمهيـــــد

حول حقيقة الإسراء والمعراج

يقصد بالإسراء تلك الرحلة العجيبة التى بدأت من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس ، ويقصد بالمعراج ما عقب هذه الرحلة من ارتفاع فى طبقات السماوات حتى الوصول إلى مستوى تنقطع عنده علوم الخلائق ولا يعرف كنهه أحد ثم الأوبة إلى المسجد الحرام وكان ذلك كله فى جزء من ليلة واحدة .

وجاء ذكر الإسراء فى مقدمة السورة المسماه بهذا الحادث الجلل ، وهى سورة الإسراء ، وعلى هذا تكون تسميتها بسورة الإسراء من باب اطلاق الجزء على الكل .

وتسمى هذه السورة أيضًا بسورة بنى إسرائيل وفى ذلك يقول صاحب التحرير والتنوير : (وجه تسميتها بهذا الاسم أنها لما ذكر فيها من أحوال بنى إسرائيل ما لم يذكر فى غيرها وهو استيلاء قوم أولى بأس شديد عليهم ثم استيلاء قوم آخرين وهم (الروم) عليهم سميت بهذا الاسم) [1]

أقول : وما ذكره غير مطرد فى كل سور القرآن فقد تسمى السورة باسم لم يرد فيها إلا مرة واحدة مثل سورة الحج التى سميت بهذا ولم يرد فيها لفظ (الحج) إلا مرة واحدة وذلك فى قوله : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (الحج:٢٧) .

وقد يرد ذكر الكثير من الآيات التى تتعلق بموضوع واحد ولا تسمى السورة به مثل سورة الأعراف فقد ذكر فيها العديد من أنباء بنى إسرائيل مع نبيهم موسى – عليه السلام – وعلى الرغم من ذلك لم تسم سورة بنى إسرائيل ، وإنما سميت سورة الأعراف ، ولم يرد لفظ الأعراف فيها إلا مرتين فى قوله تعالى : (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ)(الأعراف: من الآية٤٦) وقوله:(وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ)(الأعراف: من الآية٤٨) .

والذى أرجحه أن تسمية السورة باسم معين يكون للدلالة على أهمية الموضوع المتعلق بهذا الاسم أو يكون لخاصية معينة متعلقة بالموضوع ظهرت فى هذه السورة دون غيرها ، هذا مع اعتقادنا الراسخ بأن أسماء السور توقيفية .

---

[1] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج ١٥ ص ٥ .

يقول السيوطى ما ملخصه : ثبت أن جميع أسماء السور توقيفية ومما يدل على ذلك مـا أخـرجه ابن أبى حاتم عن عكرمة قال : كان المشركون يقولون سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزئون بهما فأنزل الله : (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر:٩٥) .

وروى البيهقـى عـن ابن عمر أنه قال : (لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولكن قولوا السورة التى يذكر فيها البقرة ، والتى يذكر فيها آل عمران) .

وهذا مخالف لما جاء فى الصحيح عن ابن مسعود عن النبى ﷺ (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه) ومن ثم لم يكرهه الجمهور .

ثم يقول – رحمه الله – وكثرة الأسماء يدل على شرف المسمى[1]

وعودة إلى السورة الكريمة لبيان أنها عرفت أيضًا باسم سـورة (سبحان) لورود هذه اللفظة الكريمة فى أولها ، وقد تفردت سورة الإسراء بذلك دون غيرها من سور القرآن

واشـهر الأسمـاء لتلك السورة الكريمة الإسراء وفى ذلك ما فيه من تمجيد لهذه الحادثة العجيـبة ومـا ترتب عليها من تمحيص لقلوب المؤمنين وبيان لضعاف الإيمان الذين أنكروا الإسراء وبالغوا فى الإنكـار .

بعد هذا التعريف الوجيز بالإسراء والمعراج وبالسورة الكريمة التى نبهت إلى تلك الحادثة ننتقل إلى بيان حقيقة الإسراء والمعراج فى ضوء الكتاب والسنه .

الإسراء والمعراج فى ضوء الكتاب والسنة :-

وقعت حادثة الإسراء بعد العديد من المواقف الحزينة التى مرت بالرسول الكريم ﷺ فـبعد موت عمه أبى طالب والذى كان موته سببًا فى زيادة العدوان والأذى على الرسول الكريم ومن آمن به وبرسالته حاول ﷺ البحث عن منفذ آخر للدعوة بعيدًا عن مكة فكانت رحلـة الطائـف لدعـوة أهلـها للإسلام ولكن – ويا للأسف – لم يجد منهم إلا الجحود والإعراض والسخرية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أغروا به عبيدهم وسفهاءهم يسبونه ويصـيحون وراءه ، ويقذفونه بالحجارة حتى أدمت قدمه الشريفة وفى غمرة هذه الأحداث الجسام وتلك العواصف العنيفة والأخطار المخيفة التى كانت تحيط بالنبى ﷺ تقع تلك الحادثة

---

(١) انظـر : الاتقـان فـى علـم القـرآن ج١ ص ٦٩ ، ٧٠ ، وانظـر الحـديث فـى فـتح البـارى بشـرح صـحيح البـخارى كـتاب فضـائل القـرآن بـاب فضـل سـورة البقرة ج٨ ص ٦٧٢ .

العجيبة حادثة الإسراء والمعراج لتكون تسرية للرسول الكريم عما أصابه ، وتعويضًا عما ناله من هؤلاء الكفار ، وما لحقه من آلام ومتاعب فى طريق تبليغ الرسالة (ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا) (النساء: ٧٠) ، فما الإسراء ؟ وما المعراج ؟ .

الإســـراء : هو السير ليلاً يقول صاحب القاموس (السُّرَىٰ) كالهدى سير عامة الليل و (أسرى بعبده ليلاً) تأكيد للسير ليلاً أو معناه سيره [1] .

واصـــطلاحًا : هـــو إذهاب الله بنبيه محمدًا ﷺ من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس فى جزء من الليل ثم رجوعه من ليلته .

أما المعراج : فهو شبه السلم أو الدرجة تعرج عليه الأرواح إذا قبضت ، وقيل هو الطريق الـــذى تصعد فيه الملائكة ، وفى التنزيل : (مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) (المعارج:٣) ، المصاعد أو الـــدرج وأيضًا : (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) (المعارج: من الآية٤) ، أى تعد ومن ذلك ليلة المعراج [2] .

واصـــطلاحًا : هو صعوده ﷺ من بيت المقدس إلى السموات السبع وما فوق السبع حيث رأى من آيات ربه الكبرى وحيث فرضت الصلوات ثم رجوعه إلى بيت المقدس ثم إلى مكة المكرمة فى نفس الليلة

ثبوت الإسراء والمعراج :-

الإسراء ثابت بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة .

أما القرآن فقوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الاسراء:١) .

فالآية الكريمة تؤكد حدوث الإسراء بالنبى ﷺ من المسجد الحرام الكائن بأم القرى مكـــة المكـــرمة إلى المسجد الأقصى بإيلياء ببيت المقدس ، ويلفت النظر أن السورة الكريمة بدأت بلفظة (سبحان) التى تشير إلى عظمة من قَدِرَ على هذا الإسراء ، وتبين أن من فعل ذلـــك يستحق كل التنزيه والتقديس ، وفى هذه اللفظة ما فيها من معنى التعجب وما أجدر الإسراء أن يتعجب منه .

---

(١) القامـــوس المحـــيط للفيـــروز أبـــادى ج٤ ص ٣٤١ فصـــل الســـين بـــاب الـــياء ، وانظر لسان العرب باب سرى ج٣ ص ٢٠٠٣ .

(٢) لسان العرب لابن منظور باب العين فصل الجيم ج ٤ ص ٢٨٧٠

كما يفهم من التعبير بقوله (بعبده) عدة أمور :-

أولها : إثبات أن الإسراء كان بالروح والجسد جميعًا ولو كان بالروح فقط لقال – بروح عبده – .

ثانيها : بيان منزلة الرسول ﷺ عند ربه فهذه الإضافة هي إضافة تشريف وتعظيم واختصاص له ﷺ .

ثالثها : التحذير من أن يتخذ من الإسراء ذريعة لرفع الرسول ﷺ من مقام العبودية إلى مقام الألوهية [1] .

يقول الآلوسي : (وإيثار لفظ العبد ها هنا للإيذان ببلوغه ﷺ الغاية في عبادة الله عز وجل ، وهذا يؤهله للوصول إلى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الإسراء ومنتهاه)[2] .

وقوله : (ليلاً) يفيد أن هذه الرحلة العجيبة تمت في فترة زمنية وجيزة .

وقوله : (من المسجد الحرام) المسجد الحرام هو بيت الله العتيق الواقع بمكة المكرمة والذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة:١٢٧) .

وسمي حرامًا لتحريم القتل والعدوان فيه كما قال تعالى : (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً) (آل عمران: من الآية٩٧) ، وقال : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الحج: من الآية٢٥) .

وقيل المراد بالمسجد الحرام في الآية مكة كلها ولعل القائل بهذا أراد أن تدخل بيوت مكة في مسمى المسجد الحرام فيجمع بين الأحاديث التي ذكرت وقوع الإسراء من المسجد الحرام والرواية التي تذكر وقوع من بيت أم هانئ .

قال البيضاوي [3]: (من المسجد الحرام) بعينه لما جاء في الروايات من أن الإسراء كان من المسجد الحرام وقيل المراد به الحرم وسماه كله مسجد أو لأنه كحيط به ليطابق المبدأ

---

(١) السيرة النبوية د / محمد أبو شهبه ج١ ص ٤٠٨ .

(٢) روح المعاني ج ١٥ ص ٤ بتصرف .

(٣) انظر : أنوار التنزيل للبيضاوة ص ٣٧٠ ، وانظر : أحاديث الإسراء في صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص ٢٢٣ : ٢٢٥ باب إسراء ﷺ وفرض الصلوات .

المنتهـــى لما روى أنه ﷺ كان نائمًا فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها) [١] .

والأرجـــح من وجهة نظرى أن الإسراء كان من المسجد الحرام أما حديث أم هانئ ففى إسناده من لا يحتج به وهو عبد الأعلى بن المساور ، وكذلك روى ابن اسحق عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح باذان عن أم هانئ بنت أبى طالب فى مسرى رسول الله ﷺ أنها كانـــت تقول ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا برسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه قـــال : (يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادة ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صبحة الغداه معكم الآن كما ترين) .

وفى إســـنادهم الحـــديث الكلبى وهو ضعيف بل قال عنه ابن كثير : متروك بمرة ساقط [٢] .

وقد حاول بعض العلماء الجمع بين الأحاديث فذكر أن النبى ﷺ كان نائمًا عندها ثم ذهب إلى المسجد وهناك حدثت القصة من مجيئ جبريل والبراق .. الخ القصة .

والمـــراد بالمسجد الأقصى : مسجد بيت المقدس ، وسمى الأقصى بهذا الاسم لبعده عن المسجد الحرام ، وقيل سمى بذلك لأنه لم يكن وراءه مسجد فى ذاك الوقت .

وفى ذكر مبدأ الإسراء ومنتهاه فى قوله تعالى : (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) فوائد عديدة منها :-

أولاً : التنصيص على قطع المسافة العظيمة فى جزء من الليل لأن كل من الظرف والمظروف (لـــيلاً) ومن المجرورين فى قوله تعالى : (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) تعلق بالفعل (أسرى) فهو تعلق يقتضى المقارنة ليعلم أنه من قبيل المعجزات .

ثانـــيا : الإيماء إلى أن الله تعالى جعل هذا الإسراء رمزًا يؤكد أن الإسلام جمه ما جاءت به الشرائع السابقة من التوحيد والحنيفية منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، الصادر من المسجد الحرام إلى ما تفرع عنه من الشرائع التى كان مقرها بيت المقدس إلى خاتمتها التى ظهرت من

---

[١] رواية أم هانئ ذكرها ابن كثير فى تفسيره ج٣ ص٢٣ وقال اخرجها الطبرانى فى الكبير من حديث أبى الأعلى بن أبى المساور عن عكرمة عن أم هانئ وذكر صاحب مجمع الزوائد أن عبد الأعلى بن أبى المساور متروك كذاب . انظر هناك ج١ ص ٧٨ .

[٢] انظر : تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ٢٣ .

مكة أيضًا ، فقد صدرت الحنيفية من المسجد الحرام وتفرعت إلى المسجد الأقصى ثم عادت آخر أمرها إلى المسجد الحرام [١] .

والضمير فى قوله (الذى باركنا حوله) يعود إلى المسجد الأقصى ، والمقصود بالبركات ، البركات الدينية لكونه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن إبراهيم عليه السلام ، والبركات الدنيوية من ثمار وأشجار وأنهار .

وفى قوله تعالى : لنريه من آياتنا) ذكر للعله من حادثة الإسراء وهى إطلاعه ﷺ على بعض الآيات العظيمة والتى من جملتها قطع المسافة الطويلة والعودة منها فى جزء من الليل ، ومشاهدته للمسجد الأقصى ، ومشاهدته للسموات العلا ، وإمامته للأنبياء وغير ذلك من الآيات العظام التى يعجز عن حصرها العلماء ، ولذا نلاحظ أنه سبحانه صرف الكلام من الغيبة إلى التكلم فى قوله : (لنريه من آياتنا) لتعظيم تلك البركات والآيات [٢] وقوله : (إنه هو السميع البصير) أى السميع لأقوال محمد (البصير) بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيقربه ويكرمه على حسب ذلك [٣] .

هذه هى رحلة الإسراء كما أثبتها القرآن الكريم فى أول سورة الإسراء ، وذهب كثير من العلماء إلى أن هذه الرحلة المباركة وما ترتب عليها من تمحيص للقلوب وبيان للمؤمنين إيمانًا حقيقيًا من غيرهم هى المرادة من قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً) (الاسراء: ٦٠) .

والمراد من (الرؤيا) فى الآية السابقة رؤيا عين أريها الرسول ﷺ ليلة الإسراء ونستطيع القول بأنها ما أخبر برؤيته ﷺ ليلة الإسراء من مشاهد عظيمة .

وأكد وقوع رحلة الإسراء مجموعة كبيرة من الأحاديث الصحيحة والحسنة ، وروى هذه الأحاديث جمع غفير من الصحابة – رضوان الله عنهم – وتلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون ، وخرجها أئمة الحديث والتفسير بالمأثور فى كتبهم فنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وأبا داود وأحمد

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج ١٥ ص ١٥ ، وانظر : النجوم الزاهرة د / محمد كامل مهران ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) أنوار التنزيل للبيضاوى ص ٣٧٠ .
(٣) الكشاف للزمخشرى ج ٢ ص ٤٣٧ .

والبيهقى وابن أبى حاتم وابن خزيمة وابن حبان وابن جرير الطبرى ، كما ذكرها الإمامان ابن إسحاق وابن هشام فى سيرتهما .

كما ذكر العلامة ابن كثير [١] قول الحافظ أبو الخطاب ابن دحية بعد ذكره لأحاديث الإسراء : (وقد تواترت الروايات فى حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن عصعة وأبى هريرة وسعيد بن سنان وأنس ابن مالك ، وأبى سعيد الخدرى وابن عباس وشداد بن أوس وأبى ابن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبى ليلى وأبى حبة الأنصاريين وعبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله الأنصارى ، وحذيفة ابن اليمان وبريدة بن الحصيب الأسلمى وأبى أيوب الأنصارى ، وأبى أمامة الباهلى وسمره بن جندب ، وصهيب الرومى ، وأم هانئ بنت أبى طالب ، وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق – رضى الله عنهم أجمعين .

ويقول صاحب لفظ اللآلئ المتناثرة : (روى حديث الإسراء من الصحابة سبعة وعشرون نفسًا ، وذكره أصحاب الكتب الستة وغيرهم فروى الإمامان البخارى ومسلم الحديث بسندهما إلى أنس ابن مالك ، ومالك بن صعصعة ، وأبو ذر الغفارى وجابر بن عبدالله ورواه الترمذى بسنده إلى بريده بن الحصيب وحذيفة بن اليمان ، وأخرجه أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه عن ابن عباس كما أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند الحديث عن أبى بن كعب ، وأخرجه البيهقى فى الدلائل عن أبى سعيد الخدرى وشداد بن أوس وأبو هريرة وعائشة ، وأخرجه ابن عرفه عن ابن مسعود وأخرجه البزار فى مسنده عن على بن أبى طالب ، وأخرج ابن مردويه حديث الإسراء عن جمع من الصحابة وهم : عمر بن الخطاب وأبو حبة الأنصارى وأبو ليلى الأنصارى وأبو الحمراء وأبو أيوب وأبو أمامة وسمرة بن جندب وعبد الله بن عمرو بن العاص وصهيب بن سنان وأسماء بنت أبى بكر وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه عن عبد الرحمن بن قرظ وأخرجه الطبرانى عن أم هانئ وابن سعد فى طبقاته عن أم سلمة)[٢] .

وهؤلاء منهم من ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع فى المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحيح .

---

[١] تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ٢٥ .

[٢] انظر : لفظ اللآلئ المتناثرة للزبيدى ص ٢٢٤ ، ٢٢٨ بتصرف .

وعلى هذا فأحاديث الإسراء فى مجملها أجمع عليها المسلمون وأعرض عنها الزنادقة والملحدون ، بل ذهب البعض إلى أنها من قبيل المتواتر المعنوى نظرًا لكثرة الرواة وتعدد الأسانيد [١](يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)(الصف:٨

وسأكتفى هنا بذكر قصة الإسراء كما رواها الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحهما واللفظ للبخارى عن مالك ابن صعصعة أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به فقال: (بينما أنا فى الحطيم مضجعًا إذ أتانى آت فقَد [٢]، قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه وإلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبى : ما يعنى به ؟ قال : من ثغرة [٣] نحره [٤] إلى شعرته [٥] ، وسمعته يقول من قصه [٦] إلى شعرته فاستخرج قلبى ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا فغسل قلبى ثم حُشى ، ثم أُعيد ، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ، فقال له الجارود : هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه ، قال ﷺ : فحُملت عليه ، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم قيل مرحبًا به ، فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم قيل : مرحبًا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى – عليهما السلام – وهما أبنا الخالة ، قال : يحيى وعيسى – عليهما السلام – فسلم عليهما – فسلمت فردا ثم قالا : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح

---

[١] انظر : المرجع السابق حيث عدها الزبيدى من الاحاديث المتواترة ص ٢٢٤ .

[٢] قد : أى قطع والقد القطع المستأصل وقال ابن دريد هو القطع المستطيل . انظر : لسان العرب لابن منظور باب قدد ج ٥ ص ٣٥٤٢ .

[٣] ثغرة : الثغر تطلق على كل فرجة من جبل قال فى اللسان الثغرة هى الهزمة التى بين الترقوتين انظر : لسان العرب ج ١ ص ٤٨٦ باب ثغر .

[٤] النحر : الصدر وقال ابن سيده : نحر الصدر أعلاه انظر لسان العرب باب نحر ج ٦ ص ٤٣٦٤ .

[٥] شعرته : عانته والشعرة تطلق على الشعر النابت على عانة الرجل انظر اللسان : باب شعر ج٤ ص ٢٢٧٤ .

[٦] القصة : هى الصدر انظر لسان العرب باب قص ج ٥ ص ٣٦٥٠ .

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل : ومن معك ؟ قال: محمد قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم فقيل : مرحبًا به فنعم المجئ جاء ففتح له فلما خلصت إذا يوسف فاهذا أخوك يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل : ومن معك؟ قال : محمد قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم قيل : مرحبًا به فنعم المجئ جاء ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم قيل : مرحبًا به فنعم المجئ جاء ، فلما خلصت فإذا هارون قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال : محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل مرحبًا به فنعم المجئ جاء ، فلما خلصت فإذا موسى قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بكى ، قيل له ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلامًا بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى .

ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم قال: مرحبًا به فنعم المجئ جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال : هذا أبوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام قال : مرحبًا بالابن الصالح والأخ الصالح .

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى [1] فإذا نبقها مثل قلال هجر[2] وإذا أوراقها كآذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم

---

(١) سدرة المنتهى : قال ابن الأثير : هى سدرة فى أقصى الجنة إليها ينتهى علم الاولين والآخرين وزعم الليث أنها سدرة فى السماء السابعة لا يجاوزها ملك ولا نبة . انظر لسان العرب باب سدر ج ٣ ص ١٩٧٢ .

(٢) قلال هَجَرَ : القلال جمع قلة وهى الجرة العظيمة وفى الحديث ونبقها مثل قلال هجر وهجر قرية قريبة من المدينة . انظر لسان العرب باب قلل ج ٥ ص ٣٧٢٧ .

رفـــع لى البيت المعمور ، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن فقال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك ، ثم فُرضت علىّ الصلوات خمسين صلاى كل يوم ، فرجعت ، فمررت على موسى فقال : بما أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال : إن أمـــتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشرًا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرًا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله فـــرجعت فوضع عنى عشرًا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرًا ، فـــرجعت إلى موســـى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمـــرت ؟ قلت : بخمس صلوات كل يوم قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال سألت ربى حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم قال : فلما جاوزت نادانى منادٍ أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى [1] .

هذا حديث الإسراء كما ذكره البخارى ، وهناك بعض الزيادات عند مسلم منها قـــوله تعـــالى لمحمـــد ﷺ بعد طلبه التخفيف من ربه فى عدد الصلوات (يا محمد إنهن خمس صـــلوات كل يوم وليلة لكل صلاة – عشر – أي عشر حسنات فذلك خمسون صلاة ومن هـــم بحســـنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا ، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب له شيئًا ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة) [2] .

ومـــا يلفت الانتباه أن أحاديث الإسراء سواء منها ما جاء فى الصحيحين أو فى غيرهما تثبت بطريق مؤكدة وقوع الإسراء والمعراج فى ليلة واحدة

وهذا نتبين منه أمرين :-

الأول : أن الاســـتدلال بـــأى حديث صحيح على وقوع الإسراء فهو استدلال أيضًا على المعراج ، وعلى قدر علمى لم يرد حديث أنفرد بذكر حادثه الإسراء منفردة بدون المعراج إلا ما سبق ذكره عن أم هانئ من أن الإسراء كان من منزلها .

---

(١) انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار – باب المعراج ج ٧ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، وباب حديث الإسراء ج ٧ ص ٢٣٦ ، وانظر : البخارى بحاشية السندى كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات فى الإسراء ج ١ ص ٧٤٧٣ . ، وانظر : مسلم بشرح النووى باب اسراؤه ﷺ وفرض الصلوات ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٢) انظر مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٢٢٣ : ٢٢٥ الباب السابق .

وما جاء فى رواية جابر بن عبد الله أنه سمع النبى ﷺ يقول : (لما كذبتنى قريش حين أسـرى بى إلى بيت المقدس قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه[1] .

وما جاء فى روايات أخر تبين أنه لقى الأنبياء فى بيت المقدس أو أنه صلى بهم ... إلى غير ذلك .

الـثانى : ضعف الآراء التى ذهبت إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلتين منفصلتين مثل ما ذكره ابن سعد فى طبقاته فقد روى عن أبى بكر بن عبد الله بن سبره وغيره من رجاله قالوا : كان رسول الله ﷺ يسأل ربه أن يريه الجنة والنار ، فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت مـن شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا ورسول الله ﷺ نائم فى بيته ظهرًا ، أتاه جبريل وميكائيل فقالا : انطلق إلى ما سألت فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم ، فأتى بالمعراج فإذا هو أحسن شئ منظرًا فعرجا به إلى السموات سماءً سماء ، فلقى فيها الأنبياء وانتهى إلى سدرة المنتهى وأرى الجنة والنار ، قال رسول الله ﷺ لما انتهيت إلى السماء السابعة لم أسمع إلا صـريف الأقلام ، وفرضت عليه الصلوات الخمس ونزل جبريل – عليه السلام – فصلى برسول الله ﷺ الصلوات فى مواقيتها) .

ثم يذكـر تحـت عنوان : (ذكر ليلة أسرى برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس : أن الإسـراء وقع ليلة سبع عشرة من شهر ربيع قبل الهجرة بسنة من شعب أبى طالب إلى بيت المقدس)[2] .

وكذا ذهب الطبرى إلى القول بأن الإسراء والمعراج لم يقعا فى ليلة واحدة[3] .

وما ذكره ابن سعد والطبرى وغيرهما مخالف لما أجمع عليه العلماء من كون الإسراء والمعـراج وقعـا فى لـيلة واحدة ، بدأت بالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وانتهت بالعروج إلى السموات العلا وفرض الصلوات ثم العودة فى نفس الليلة إلى المسجد الحـرام ، ولـذا نجد الحافظ ابن كثير[4] يضعف هذه الأقوال ويبين أن الصحيح هو وقع

---

(١) انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب التفسير باب تفسير سورة الإسراء ج ٨ ص ٢٤٣ ، وكتاب مناقب الأنصار باب حديث الإسراء ج٧ ص ٢٣٦ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢١٣ ، ٢١٥
(٣) انظر : تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص ٢١٠ .
(٤) انظر : البداية والنهاية ج ٣ ص ١١٥ .

الإسراء والمعراج فى ليلة واحدة ، كما يضعف من أدعى تعدد الإسراءات ويقول : والحقيقة أنها إسراء واحد ومن قال بالتعدد فقد أبعد جدًا .

وكـذا فعـل ابـن حجر بعد أن أورد قول ابن دحية : أن البخارى جنح إلى أن الإسراء كان فى ليلة غير ليلة المعراج ويستدل على ذلك بأن البخارى أفرد كل منهما بترجمة يقول ابن حجر ردًا على ما قاله ابن دحية : ولا دلالة فى ذلك على التغاير عنده (أي عند الإمام البخارى) بل كلامه فى أول الصلاة ظاهر فى اتحادهما ، وذلك أنه ترجم (باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء) والصلاة إنما فرضت فى المعراج ، فدل على اتحادهما عنده ، وإنما أفرد كلا منهما بترجمة لأن كلا منهما يشتمل على قصة مفرده وإن كانا وقعا معًا [1] .

مما سبق يتضح لنا أن جُل أحاديث الإسراء قد ضمت قصة المعراج مما يثبت وقوع المعـراج بعـد الإسراء من نفس الليلة ، وقد ذهب بعض العلماء إلى ثبوت رحلة المعراج بالقـرآن الكـريم أيضًـا وذلـك فى سور من القرآن الكريم ، وهى سور النجم والتكوير والانشقاق ، أما سورة النجم ففى قوله تعالى : (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَـى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)(النجم ٥ : ١٨)

وفى سورة التكوير : (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) (التكوير:٢٣)

وفى سورة الانشقاق : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) (الانشقاق:١٩)

يقـول أبو حيان فى تفسيره لآيات سورة النجم (علمه شديد القوى) : أي علم الرسـول ﷺ شديد القوى وهو جبريل وهو مناسب للأوصاف التى بعده ، وقاله ابن عباس وقـتادة والربيع ، وقال الحسن : شديد القوى هو الله تعالى وهو بعيد (ذو مرة) ذو قوة ، وقـيل ذو هيئة حسنة ، وقيل هو جسم طويل حسن ولا يناسب هذان القولان إلا إذا كان شـديد القـوى هو جبريل عليه السلام (فاستوى) الضمير فيها لله تعالى فى قول الحسن ، وكـذا قوله (وهو بالأفق الأعلى) لله تعالى على معنى العظمة والقدرة والسلطان ، وعلى قـول الجمهـور (فاستوى) أي جبريل فى الجو وهو بالأفق الأعلى إن الرسول ﷺ رأى

---

[1] انظـر : فـتح الـبارى ج٧ ص ٢٣٦ كـتاب مـناقب الأنصـار بـاب حـديث الإسراء .

جـــبريل بحراء قد سد الأفق له ستمائة جناح وحينئذ دنا من محمد حتى كان قاب قوسين ، وكذلك هو المرئى فى الرؤية الأخرى بستمائة جناح عند السدرة قاله الربيع والزجاج ، وقيل ما رءاه أحد من الأنبياء فى صورته الحقيقية غير محمد ﷺ مرة فى الأرض ومرة فى السماء .

(ثم دنـــا فـــتدلى) قال الجمهور : دنا جبريل من محمد عند حراء وجاء عن ابن عباس وأنس أن الدنو يستند إلى الله تعالى ، والصحيح أن جميع ما فى الآيات هو مع جبريل بدليل قوله (ولقد رءاه نزلة أخرى) فإنه يقتضى نزلة متقدمة ، وما روى أن رسول الله ﷺ رأى ربه قبل ليلة الإســـراء .

وقـــوله : (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي ما كذب فؤاد محمد ما رءاه ببصره من صـــورة جبريل ، وقال ابن عباس : رأى محمد الله تعالى بفؤاد وعن ابن عباس أيضًا وعكرمة وكعـــب الأحبار أن محمدًا رأى ربه بعينى رأسه ، وأبت السيدة عائشة – رضى الله عنها – وقالت أن المراد بذلك جبريل [1] .

وكذا القول فى مرجع الضمير فى سورة التكوير (ولقد رءاه بالأفق المبين) ذهب المفسرون إلى عودته إلى جبريل ، وأن ذلك كان فى حادثة المعراج .

وأيضًا قوله تعالى فى سورة الأنشقاق :(لتركبن طبقًا عن طبق) أي سماء بعد سماء ، وكل ذلك يدل على ثبوت المعراج .

وما ذهب إليه العلماء من ثبوت المعراج بآيات النجم والتكوير والانشقاق صحيح وإن كنت ألمح فى قوله تعالى (لنريه من آياتنا) إشارة قوية إلى وقوع المعراج ، أي نرفعه من ســـماء إلى سماء لنريه من عجائب الخلق والمشاهد العظيمة مما فيه الدلائل الباهرة على قدرتنا العظيمة التى لا تقادر ، ويؤكد ذلك أنه تعالى ذكر فى سورة النجم أنه أرآه ذلك ، فى قوله تعـــالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي رأى الآيات الكبرى والعظمى التى هى بعض آيات ربه أي حين رقى إلى السماء ورأى عجائب الملكوت وتلك بعض آيات الله .

وأخيرًا .. فهذه هى رحلة الإسراء المباركة كما وردت فى الكتاب والسنه ذكرتها بإيجاز ، وقد توسع فى هذا الموضوع الكثير من العلماء ، ويكفى القول أن الإمام الحافظ ابن

---

[1] البحر المحيط لابن حيان ج ٨ ص ١٥٧ ، ١٥٨ بتصرف يسير .

كثير[1] استوفى الموضوع من كافة جوانبه فعنى بذكر الأحاديث وبين صحيحها من سقيمها ، وبذل جهده فى بيان زمان الإسراء ومكانه والحكمة منه فجزاه الله عن الأمة خير الجزاء .

*****

[1] انظر : البداية والنهاية لابن كثير وكذا تفسير القرآن العظيم والسيرة النبوية والفصول فى سيرة الرسول ﷺ

المبحث الأول

ترجمة السيدة عائشة

ذكرنا – فيما سبق – حقيقة الإسراء ، وما يتعلق به ، وقبل الحديث عن مرويات السيدة عائشة فى تلك الحادثة نعرف بأم المؤمنين فى ترجمة وجيزة ، فنقول وبالله التوفيق ..

هى الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وأبوها اسمه عبد الله بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن كعب ابن لؤى القرشى كناه الرسول ﷺ بأبى بكر ولقبه بالصديق ، وكان يسمى قبل ذلك عتيقًا ، واختلف هل هو اسم له أصلى أو قيل له ذلك لأنه ليس فى نسبه ما يعاب أو لقدمه فى الخير وسبقه للإسلام أو لأن النبى ﷺ بشره بأن الله اعتقه من النار وقد ورد هذا الخبر الأخير فى حديث عائشة ورواه الترمذى [١] .

وأما لقبه بالصديق فكان لسبقه إلى تصديق النبى ﷺ فى خبر الإسراء وروى البيهقى من حديث على إنه كان يحلف أن الله أنزل اسم أبى بكر من السماء (الصديق) [٢] .

وأبو بكر كما نعلم هو صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة ، وأول من أسلم من الرجال فكان من السابقين إلى الإسلام ، ووقف إلى جانب الرسول ﷺ طول إقامته فى مكة ، ورافقه فى الهجرة وفى المشاهد كلها .

فلا عجب أن يقدم للإمامة فى الصلاة عند مرض الرسول ﷺ ولا عجب أن يكون هو الخليفة بعد وفاة الرسول الكريم – عليه افضل الصلاة وأوكى التسليم [٣] .

وأم السيدة عائشة هى أم رُوّمان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس ينتهى نسبها إلى كنانة [٤] .

---

[١] انظر : فتح البارى ج ٧ ص ١٢ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم .

[٢] انظر إلى المرجع السابق نفس الجزء والصفحة ، وانظر دلائل النبوة للبيهقى ج ٢ ص ٣٦٠ ، ٣٦١

[٣] الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى ج ٥ ص ١٥٥ بتصرف

[٤] انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ج٧ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

زواج السيدة عائشة بالنبي ﷺ :-

أجمع المؤرخون وأصحاب السير بأن زواج السيدة عائشة بالنبى كان قبل الهجرة ، كما أجمعوا على أن ذلك كان بعد وفاة السيدة خديجة ، وأن دخوله بها ﷺ كان فى المدينة بعد الهجرة واختلفوا فيما عدا ذلك : -

فاختلفوا فى السنة التى تزوج فيها النبى بعائشة فقال بعضهم : أن ذلك كان قبل الهجرة بأقل من ثلاث سنوات وإلى هذا القول جنح ابن قيم الجوزية قال : ماتت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وتزوج بعدها بسودة بنت زمعة القرشية وهى التى وهبت يومها لعائشة ثم تزوج عائشة [١] .

وذهب البعض الآخر بأن ذلك كان قبل الهجرة بسنتين ، وقيل كان قبل الهجرة بأربع أو بخمس سنين [٢] .

كما اختلفوا فى عمر السيدة عائشة وقت زواج النبى ﷺ بها فذهب الأكثرون إلى أنه ﷺ تزوج بها وكان عمرها ست سنين وقال آخرون كان عمرها سبع سنين .

والراجح أن النبى ﷺ تزوجها وهى بنت ست سنين يؤكد ذلك ما أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير قال : تزوج النبى ﷺ عائشة وهى بنت ست سنين ، وبنى بها وهى بنت تسع سنين ومكثت عنده تسعًا) [٣] ، وكان عمر السيدة عائشة وقت وفاة النبى ﷺ ثمانى عشرة سنة وكان بناء النبى ﷺ بها بعد الهجرة بشمانى أشهر على أرجح الأقوال ، وتعد السيدة عائشة هى البكر الوحيد التى بنى بها النبى ﷺ ، ولم يبنى ببكر غيرها ، مما كان سببًا فى فخرها بذلك ، روى البخارى بسنده عن عروة عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله : أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها فى أيها كنت ترتع ببعيرك ؟ قال : فى التى لم يرتع [٤] تعنى أن النبى ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها .

---

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ١ ص ٢٩ ، وانظر : تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج٢ ص ٢٥٧ .

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج ٧ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) انظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٩ ص ١٣١ كتاب النكاح باب من بنى بامرأة وهى بنت تسع سنين .

(٤) انظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارة كتاب النكاح باب نكاح الأبكار ج ٩ ص ٢٣ .

كنيتهـــا :-

كنيت السيدة عائشة بأم المؤمنين وهذه الكنية يشاركها فيه جميع أزواج النبى ﷺ .

وكنـــيت بأم عبد الله ، وقيل كان السبب فى ذلك أها أسقطت من النبى سقطًا ، ولذا سميت أم عبد الله ، ولكن ذلك لم يثبت [١] .

والراجح أنها كنيت بذلك نسبة إلى عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء بنت أبى بكر زوج الزبير بن العوام [٢] ، وذلك لما روى أن النبى ﷺ لما ولد عبد الله بن الزبير حنكه بالتمر وقـــال لعائشة هو عبد الله وأنتِ أم عبد الله ، فكانت تقول – رضى الله عنها – فما زلت أكنى بها [٣] .

قصة زواجها من النبى ﷺ :-

ســـبق القول أن النبى ﷺ تزوج بعائشة وهى بنت ست سنين وبنى بها وهى بنت تسع سنين .

خطـــبت الســـيدة عائشة – رضى الله عنها – للنبى بواسطة خولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون .

ولنتـــرك أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – تروى قصة زواجها من النبى ﷺ تقـــول: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص وذلك بمكة : أي رسول الله : ألا تتزوج ؟ قال : ومن ؟ قلت : إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا ، قال فمن البكر ؟ قالت : ابنة أحب الناس إليك ، عائشة بنت أبي بكر ، قال ومن الثيب ؟ قالت : سودة بنت زمعة بن قـــيس آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه ، قال فاذهبى فاذكريهما على ، قالت : فجئت فـــدخلت بيت أبي بكر ، فوجدت أم رومان أم عائشة ، فقلت : أي أم رومان ما أدخل الله علـــيكم من الخير والابركة ؟ قالت : وما ذاك ؟ قلت : أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، قالت : وددت انتظرى أبا بكر فإنه آت فجاء أبو بكر فقلت : ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قال : وما ذاك ؟ قلت : أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، قال

---

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزيه ج ١ ص ٢٦ .
(٢) انظر : المواهب اللدنية لأحمد بن الخطيب العسقلانى ج١ ص ٢٠٣ .
(٣) فـــتح الـــبارى بشـــرح صـــحيح الـــبخارى كـــتاب فضـــائل الصـــحابة بـــاب فضـــل عائشة ج ٧ ص ١٣٤ .

: وهل تصلح له ؟ إنما هى بنت أخيه ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال : أرجعى وقولى له أنت أخى فى الإسلام ، وابنتك تصلح له ، فأتيت أبا بكر فقال : ادعى لى رسول الله ، فجاء فأنكحه [١] .

وكان ﷺ يرى فى المنام أنه سوف يتزوج عائشة وقد تكررت الرؤيا مرتين كما ذكر البيهقى [٢] وغيره ، وروى البخارى بسنده عن السيدة عائشة أن رسول الله ﷺ قال : (رأيتك فى المنام مرتين أرى رجلا يحملك فى سرقة من حرير [٣] ، فيقول : هذه امرأتك فأكشف فأراك فأقول إن كان هذا من عند الله يمضه)[٤] .

وسئلت السيدة عائشة : متى بنَى بك رسول الله ؟ قالت : لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة خلفنا وخلف بناته ، فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع مولاه وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم وأمره أن يحملنا عليهما [٥] .

وكان بناءه بها على ما ذكر الطبرى فى شهر شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة ، وكانت يوم ابتنى بها ابنة تسع سنين [٦] .

علمها وفقهها :-

عاشت السيدة عائشة – رضى الله عنها – سنوات طويلة منها ما كان فى حياة النبى ﷺ وأكثرها بعد وفاته ، وكانت فى حياتها منارًا للعلم ومنبعًا للعرفان ، بل نستطيع القول بأنها – رضى الله عنها – كانت حاملة لواء العلم والمعرفة فى عصرها ، وكانت نبراسًا منيرًا يستضاء به ، واشتهرت بالعلم والفقه والورع ، وكانت فصيحة اللسان مكثرة من رواية الحديث والعلم ، بل كانت مشيخة الصحابة يسألونها عن كثير من المسائل فتجيبهم جوابًا شافيًا مشبعًا بروح التروى والتحقيق مما لا يتسنى إلا لمن بلغ من العلم مقامًا عليًا .

---

(١) انظر : فتح الابارى كتاب مناقب الأنصار ج ٧ ص ٢٦٦ ، مسند الإمام احمد ج ٦ ص ٢١١ .

(٢) انظر : دلائل النبوة للبيهقى ج٢ ص ٤١١ ، ومسند الإمام أحمد ج ٦ ص ١٢٨ .

(٣) سرقة من حرير : قطعه من جيد الحرير انظر اللسان : باب سرق ج ٣ ص ١٩٩٨ .

(٤) الحديث أخرجه البخارى ، انظر فتح البارى كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبى عائشة ج ٧ ص ٢٦٤ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ١١ ص ٦٠١ .

(٦) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

روى أبو بردة بن أبي موسى الأشعرى عن أبيه : ما أشكل علينا أصحاب محمد أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا ، وقال مسروق : رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألون السيدة عائشة عن الفرائض .

وذكر ابن حجر : أن عائشة كانت فقيهة جدًا حتى قيل أن ربع الأحكام السرعية منقول عنها .

وقال الذهبي فى الكاشف : عائشة – رضى الله عنها – أفقه نساء الأمة ، وقال الزركشى : إن عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب كانا يسألانها فى مسائل فقهية عديدة [١]

وقد جمعت – رضى الله عنها – الكثير من العلوم وتفوقت فيها أشهرها علم الفقه والطب والخطابة والشعر حتى قال أبو عمر ابن عبد البر عنها : كانت عائشة وحيدة عصرها فى ثلاثة علوم : علم الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشعر .

وقال ابن شهاب الزهرى : لو جمع علم عائشة بعلم جميع أزواج النبى ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة أكثر [٢] .

ومالها لا تتصف بذلك وهى التى عاشرت الرسول ﷺ وعاشت معه المواقف العديدة وكانت تأخذ عنه كل أمور دينها وتسأله عن كل صغيرة وكبيرة ، وتتشبه به فى خُلقه ، فنبتت فى هذا الجو الملئ بالحكمة والعلم والخلق واستقت منه الكثير من العلوم النافعة ، ولذا كان هذا الإجماع على علمها وفقهها .

سأل معاوية بن أبي سفيان زياد قال : يا زياد أي الناس أعلم؟ قال : أنت يا أمير المؤمنين ، قال : أعزم عليك ، قال : أما إذا عزمت علىّ فعائشة [٣] .

ومن أجل ما تميزت به – رضى الله عنها – من العلم والافقه ، وما كان لها من المنزلة الفريدة جاء عن خير الأنام أنه قال فى فضلها : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد[٤] على سائر الطعام)[٥] .

---

(١) انظر : ترجمتها فى أعلام النساء لعمر رضا كحالة ج٣ ص ١٠٤ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ج ٣ص ١٠٥ .

(٣) انظر اعلام النساء ج ٣ ص ١٠٤ .

(٤) الثريد : الخبز الذى يفت مع المرق واللحم انظر القاموس المحيط ج١ ص ٢٨٠ فصل التاء باب الدال

(٥) الحديث أخرجه البخارى ج ٧ ص ١٣٣ كتاب فضائل الصحابة با فضل عائشة .

ومن أجل ذلك أيضًا كان جبريل يقرئها السلام كما جاء فى صحيح البخارى عنها قالت : قال رسول الله يومًا يا عائش : هذا جبريل يقرئك السلام،قالت : قلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى) [١]

وسأل عمرو بن العاص رسول الله ﷺ وذلك عندما استعمله النبى على جيش ذات السلاسل : يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قالت : عائشة ، قلت من الرجال ؟ قال أبوها [٢] .

شهادة الصحابة والتابعين لعائشة :-

قال عروة بن الزبير يصفها : ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قضية الإفك لكفى بها فضلاً وعلو مجد فإنها نزل فيها من القرآن ما يُتلى إلى يوم القيامة ، وكان مسروق وهو من كبار التابعين إذا روى عنها يقول حدثتنى الصديقة بنت الصديق البرينة المبرأة .

وكانت – رضى الله عنها – فصيحة اللسان بليغة المقال إذا خطبت ملكت على الناس مسامعهم ، وإذا تكلمت أخذت بمجامع القلوب ، قال الأحنف بن قيس : سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء وهلم جرا إلى يومى هذا ، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فىّ عائشة ، وقال موسى بن طلحة : ما رأيت أحدًا أفصح من عائشة ، وقال معاوية : والله ما رأيت خطيبًا قط أبلغ ولا أفصح من عائشة [٣] .

تقواها وورعها :-

ضربت السيدة عائشة – رضى الله عنها – المثل الأعلى فى التقوى والورع وكثرة العبادة ودوام التهجد ، ومناقبها فى ذلك كثيرة :-

من ذلك ما روى عنها أنها كانت تداوم على الصوم حتى قيل أنها كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يومى الأضحى والفطر .

---

(١) انظر : فتح البارى ج ٥ ص ٢٧ كتاب فضائل اصحاب النبى باب فضل عائشة .

(٢) انظر : فتح البارى الكتاب السابق باب فضل ابى بكر ج ٧ ص ٢٢ ، وانظر تحفة الأحوذى ج ١٠ ص ٣٧٨ .

(٣) انظر : أعلام النساء لعمر رضا كحالة ج ٣ ص ١٢٥ بتصرف..

وبلغت – رضى الله عنها – درجة رفيعة فى التعبد والقيام يؤكد ذلك ما رواه عروة بن الزبير يقول : كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة فأسلم عليها فغدوت يومًا فإذا هى قائمة تسبح وتقرأ وتدعو وتبكى فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتى ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى تصلى وتبكى ، وكانت تقول : لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله إلا العفو والعافية .

وكانت – رضى الله عنها – قدوة ومثل يقتدى به وكانت تؤم النساء فى الصلاة كما روت ذلك عنها إحدى الصحابيات واسمها – ريطة الحنفية – قالت : كانت السيدة عائشة تؤمنا من الصلاة المكتوبة [١] .

وما اشتهرت به عطفها الشديد على الفقراء والمساكين بل كانت تؤثرهم على نفسها ومما جاء عنها فى هذا الشأن أن عبد الله ابن الزبير بعث بمال فى غرارتين [٢] فيهما مائة ألف فدعت بطبق وهى صائمة فجعلت تقسم فى الناس ، فلما أمست قالت : يا جارية هاتى فطرى قالت أم ذرة (جاريتها) : يا أم المؤمنين أما استطعت فيما أنفقت أن تشترى بدرهم لحمًا تفطرين عليه ؟ فقالت – رضى الله عنها– لا تعنفينى لو كنت ذكرتنى لفعلت [٣] .

ومن المواقف التى تروى عن عائشة ويظهر منها مدى إيمانها وتضحيتها أنها استأذنت الرسول ﷺ فى الجهاد فقال : جهادكن الحج فلما كان يوم أحد وانهزم الناس عن النبى – رأى أنس عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان حتى رؤى خدم [٤] سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغان فى أفواه القوم [٥] .

وفاتهـــا :–

توفيت السيدة عائشة – رضى الله عنها وأرضاها – ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة مضت من رمضان سنة ثمان وخمسين للهجرة وكان عمرها حين وفاتها ستًا وستين سنة ،

---

(١) انظر : أعلام النساء لعمر رضا كحالة ج ٣ ص ١٠٤ .
(٢) غرارتان : الغرارة : كيس يوضع فيه التبن واحدها الغرائر قال الجوهرى أظنه معربًا . انظر : اللسان ج ٥ ص ٣٢٣٦ باب غرر .
(٣) أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٤) خدم : مكان الخلخال من الساق وسميت الساقة خدمة حملاً على الخلخال لكونها موضعه . انظر اللسان ج ٢ ص ١١١٥ باب خدم .
(٥) انظر : فتح البارى ج ٦ ص ٩١ كتاب الجهاد باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال

وصلى عليها أبو هريره – رضى الله عنه – ودفنت بالبقيع من نفس الليلة بعد صلاة الوتر ، وكانت وفاتها فى خلافة معاوية بن أبى سفيان [١] .

وقد حضر جنازتها جمع غفير من الصحابة وأهل المدينة كما نزل أهل العوالى لحضور جنازتها .

ونزل فى قبرها خمسة : عبد الله وعروة ابنا الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وعبد الله بن محمد بن أبى بكر ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر [٢] .

رحمها الله رحمة واسعة ورضى الله عنها وجزاها عن الأمة خير الجزاء .

******

---

(١) انظر فتح البارى ج ٧ ص ١٣٤ باب فضل عائشة .

(٢) انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ١١ ص ٦٠٢ ، وأسد الغابة ج ٧ ص ١٨٨ .

المبحث الثانى

مرويات السيدة عائشة

فى قصة الإسراء والمعراج

لا يخلو كتاب من كتب التفسير أو الحديث من أحاديث مروية عن السيدة عائشة ، بل أن تلك الأحاديث بلغت حدًا كبيرًا من الكثرة مما جعل أصحاب المسانيد يفردونها بأبواب مستقلة ، سواء كانت مرفوعة إلى النبى ﷺ أو موقوفة على السيدة عائشة .

وهذا يؤكد ما ذكرنا – سابقًا – من علمها الغزير وفقهها الوافر الذى نالته بفضل الصحبة والقرب من النبى ﷺ .

وكانت – رضى الله عنها – كما ألمحنا منهلاً غزيرًا استقى منه الصحابة والتابعون ، بل والأمة كلها ، وكانت مرجعًا من المراجع الرئيسية فى معرفة الكثير من الأحكام والحدود والتشريعات والعبادات .. ، أضف إلى ذلك ما جاء فى تفسيرها للكثير من الآيات .

وقد وقفت – رضى الله عنها – موقفًا صارمًا من بعض الآراء الصادرة من بعض الصحابة فكانت تصحح لهم ما قالوه وتستدرك عليهم ، وتبين لهم الصحيح المأثور عن النبى ﷺ .

وقد قام الإمامان بدر الدين الزركشى ، وجلال الدين السيوطى – رحمهما الله – بحصر ما استدركته السيدة عائشة على الصحابة وذلك فى كتابيهما (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) للإمام بدر الدين الزركشى ، و (عين الإجابة فى استدراك عائشة على الصحابة) لجلال الدين السيوطى .

من ذلك ما روى أنها سمعت ابن عمر يقول إن الرسول ﷺ قال : (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) فقالت : والله ما قال الرسول ذلك ، وإنما قال : (إن الكافر ليزداد عذابًا ببكاء أهله عليه) ألم تسمعوا قوله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام: من الآية ١٦٤) .[1]

وغير ذلك الكثير من الروايات التى تبين علمها الوافر .

---

[1] انظر : الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة ص ٥٤ .

أمـــا ما جاء عنها من أحاديث فى موضوعات شتى فهذا مما يصعب حصره وتجتزى بحـــديث واحـــد أخـــرجه مسلم تصف فيه النبى ﷺ تقول – رضى الله عنها – : (مما خير الرســـول بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه)[1] .

ومـــا جـــاء عـــن السيدة عائشة ما رويته فى تفسير حادثة الإسراء والمعراج وقد انحصرت هذه المرويات فى بيان ثلاثة قواعد :-

القاعدة الأولى : أن الإسراء كان بالروح وليس بالجسد فقد نسب إليها أنها قالت (ما فُقِّد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسرى بروحه) .

القاعـــدة الثانية : نفيها رؤية محمد ﷺ ربه ليلة الإسراء وتشديدها فى النكير على من قال بالـــرؤية فقد جاء عنها (من قال أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم العزية على الله ، وإنما رأى جبريل على صورته الحقيقية) .

القاعـــدة الثالـــثة : نفيها أن تكون الصلاة فرضت على هيئتها المعلومة أربع ركعات أربع ركعات ما عدا المغرب والصبح فقد حكى عنها أنها قالـــــت : (فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد فى الحضر) .

وسوف تكون لنا وقفه مع كل رواية من هذه الروايات نبين مصادرها وهل وافقت رأى الجمهـــور أم انفـــردت بها ؟ وهل من سبيل إلى التوفيق بين الرويات المتعارضة ... فنقول وبالله التوفيق :-

أمـــا الـــرواية الأولى فقد ذكرها ابن إسحاق قال : حدثنى بعض آل أبى بكر عن عائشة أم المؤمنين – أنها كانت تقول : (ما فُقِّد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه) قال ابن إسحاق ووافقها فى هذا القول معاوية بن أبى سفيان ، فكان إذا سئل عن مسرى رسول الله قال : كانت رؤيا من الله صادقة [2].

وقال بقولهما الحسن البصرى ، وكان يرى أن قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ (الاسراء: من الآيـــة ٦٠) ، نزلت فى هذه الواقعة ، مع الاعتقاد بأن

---

[1] صـــحيح مســـلم بشـــرح الـــنووى ج ١٥ ص ٨٤ كـــتاب الأدب بـــاب مـــباعدته ﷺ للآثام .

[2] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج ٣ ص ١١٣ .

الرؤيا الأنبياء حق كما قال إبراهيم : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) (الصافات: من الآية١٠٢) ، وكما جاء فى الحديث : (تنام عينى وقلبى لا ينام) [١] .

وهذه الرواية المنسوبة إلى السيدة عائشة مردود عليها بالمنقول والمعقول .

الأدلة النقلية : -

قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الاسراء:١) .

أ - أن الآية السابقة نصًا فى كون الإسراء بالروح والجسد وليس بالروح فقط ولو كان الإسراء بالروح فقط لقال جل وعلا - سبحان الذى أسرى بروح عبده - ولم يقل (الذى أسرى بعبده) فإن المنام إنما يكون بتحريك الروح وانتقالها من مكان إلى مكان مع بقاء الجسد فى مكانه فلما قال تعالى (الذى أسرى بعبده) دل ذلك على أن الإسراء كان بالروح والجسد يقظة لا منامًا ، فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد .

ب - ومما يدل أيضًا على أن الإسراء بالجسد والروح معًا تصديره سبحانه قصة الإسراء بلفظة (سبحان) وهى تدل على عظمة وجلال الفعل الذى يأتى بعدها ، وفيها من تنزيه الله تعالى عن كل نقص لا يليق ، فهو مقام تعظيم لرب العالمين على تلك المعجزة الباقية ، والحقيقة التى نقررها أن التسبيح يكون عند الأمور العظام ، فلو كان منامًا لم يكن فيه كبير شئ ولم يكن مستعظمًا [٢] .

ج - إن المتأمل فى أثر حادثة الإسراء فى نفوس الكفار بل وضعاف الإيمان من المسلمين يصل إلى يقين بأنه كان بالروح والجسد معًا ، ولو كان بالروح ما كان فيه آية ولا معجزة ، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه ولا ارتد به بعض ضعاف الإيمان ، لأن مثل هذا لا ينكر ولا يستغرب بل لم يكن التكذيب منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته ، ولذا نقرر أن النبى ﷺ تم الإسراء به يقظة من المسجد

---

[١] الحديث أخرجه البخارى انظر فتح البارى كتاب المناقب ج٦ ص ٦٧٠ وأورده السيوطى فى جمع الجوامع ج ٢ ص ١٢٢٣ وقال أخرجه عبد الرزاق عن عائشة وذكر فى الجامع الصغير برقم ٣٣٦٧ من رواية ابن سعد فى الطبقات ورمز له بالضعف .

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٢٤ .

الحـــرام إلى بـــيت المقدس راكبًا البراق فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو الدرج يرقى فيه مصعد إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع وتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الأنبياء الذين فى السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مـــر بموسى الكليم فى السادسة وإبراهيم الخليل فى السابعة ، ثم جاوز منازلهما حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام أي أقلام القدر بما هو كائن ، ورأى من آيـــات ربه الكبرى ، ثم فرض علينا هنا الصلوات خمسين خففت إلى خمس رحمة منه ولطفا بعباده [١] .

د – إن هذه الرواية المنسوبة إلى أم المؤمنين (عائشة) يتطرق إليها الضعف من عدة وجوه

أولها : عدم وجود هذه الرواية فى الكتب الصحيحة مثل البخارى ومسلم .

ثانيها : أن هذه الرواية فى سندها انقطاع بين محمد بن إسحاق ومن فوقه

ثالـــثها : أن ابن إسحاق له تدليسات كما ذكر ابن القيم الجوزية ولذا لم يرو له مسلم فى كتابه ولم يحتج به ، وإنما أخرج له فى المتابعات [٢] .

رابعها : وجود جهالة فى بعض رجال الرواية فقد قال ابن إسحاق حدثنى بعض آل أبى بكر ولم يعين من هو المتحدث .

وكل ذلك يضعف الرواية بل يجعلنا نشكك فى صحتها بل ذهب بعض العلماء إلى أنها رواية موضوعة يقول صاحب سبل الهدى والرشاد : (وأما ما يعزى لعائشة – رضى الله عنها – فى ذلك فلم يرد بسند صحيح يصلح للحجة ، بل فى مسنده انقطاع ورواه مجهولون وقد قال أبو الخطاب بن دحيه فى التنوير : إنه حديث موضوع عليها ، وقال إمام الشافعية – القاضـــى أبـــو العـــباس ابـــن ســـريج : هذا حديث لا يصح ، وإنما وضع ردًا للحديث الصحيـــــح) [٣] .

هـــ – ومما يؤكد عدم صحة هذه الرواية أن السيدة عائشة نفسها روت فيما أخرجه البيهقى (لمـــا أسرى برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد نـــاس ممن كانوا أمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبى بكر فقالوا : هل لك فى

---

[١] تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٤ ، ٢٥ بتصرف يسير .
[٢] المنار لابن قيم الجوزية ص ٣ ، ٤ بإيجاز .
[٣] سبل الهدى والرشاد للصالحى ج ٣ ص ٧٠ .

صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس فقال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ، قال : نعم إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء فى غدوه أو روحه) فلذلك سمى أبو بكر (الصديق) [١] .

فهذه الرواية تثبت وقوع الإسراء بالروح والجسد بدليل قولهم : فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ولو كان منامًا أو بالروح ما قالوا مثل هذه العبارة ، ثم أن الرواية تبين أن حادثة الإسراء كانت السبب فى تسمية إبى بكر بالصديق .

وحاصل كلام أبى بكر كأنه قال : لما سلمت برسالته فقد صدقته فيما هو أعظم من ذلك وهو نزول الوحى عليه ، فكيف أكذبه فيما هو دون ذلك [٢] .

و - أضف إلى ذلك أن متن هذه الرواية مضطرب لأنه ورد بلفظ (فقد) وعلى هذا يكون الفعل مبنيًا للمفعول ، وتكون عائشة - رضى الله عنها - حدثت به من غير مشاهدة ، لأنها لم تكن زوجة للرسول ﷺ إذ ذاك ، كما ورد بلفظ (ما فقدت) ويكون الفعل مبنيًا للفاعل ، وعليه تكون السيدة عائشة حدثت به عن مشاهدة وهذا غير صحيح ، فإن النبى ﷺ لم يَبْنِ بعائشة إلا فى المدينة بعد الهجرة ، وهذا بالإجماع .

بل نستطيع القول أن السيدة عائشة لم تكن وقت الإسراء فى سن من يضبط الأمور ، لأنها فى وقت الهجرة كانت بنت ثمان سنين ، فعلى القول بأن الإسراء كان قبلها بسنة يكون سنها حينئذ سبع سنين ، وعلى القول بأكثر من ذلك تكون أقل من سبع سنين ، وعلى القول بأن الإسراء كان بعد البعثة بعام لم تكن السيدة عائشة ولدت بعد [٣] .

ز - أن السيدة عائشة لم يرد عنها أنها سألت النبى ﷺ عن الإسراء هل كان بالروح أم بالجسد فأجابها وإنما هى هنا تخبر عن حال الرسول وقت الإسراء وهنا يرد احتمالان :-

الأول : أن تكون قد توجهت بالسؤال لأحد الناس مثل أبيها فأجابها بذلك .

الثانى : وإما أن تكون سمعت ذلك من أحد وعليه تكون قد وعت ذلك وحفظته ، ثم أخبرت به بعد حين .

---

(١) انظر : دلائل النبوة للبيهقى ج ٢ ص ٣٦٠ ، ٣٦١ ، وسيرة ابن هشام ج١ ص ٣٩٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص ٢٢ .

(٣) سبل الهدى والرشاد للصالحى بتصرف وزيادة .

وعلى الاحتمالين فكان يتوجب عليها أن تقول سألت فلان عن مسرى رسول الله ﷺ أكان بالروح أم بالجسد فأجابنى ، أو أننى سمعت فلانًا ينفى أن يكون الإسراء بالجسد .

وعلى كل الأحوال فالسيدة عائشة – رضى الله عنها – كانت وقت الإسراء صغيرة ، ولم تكن زوجة للنبى ﷺ [1] ، وكذلك معاوية بن أبى سفيان لم يكن أسلم بعد .

وقد أخرج البخارى فى صحيحه كما سبق أن ذكرنا (أن النبى ﷺ تزوجها وهى بنت ست سنين وبنى بها وهى بنت تسع سنين) [2] .

ح – وأما استدلال الحسن على كون الإسراء بالروح بقوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) (الاسراء: من الآية ٦٠) ، فهذا استدلال مردود وقول مرفوض لأن ابن عباس – رضى الله عنهما – وهو حبر الأمة وترجمان القرآن قد أخبر بأن المراد من الآية السابقة رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ، والشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم [3]

وكلام ابن عباس فى هذا حجة وقد أجمع العلماء قديمًا وحديثًا على تقديم قول ابن عباس – رضى الله عنه – لأنه ترجمان القرآن ولأن الانبى دعا له بالتفقه فى الدين وتعلم التأويل .

ومما يرجح قول ابن عباس أن علماء اللغة ذهبوا إلى أن الرؤيا كما تطلق على الرؤيا المنامية ، تطلق أيضًا على البصرية .

وقد ذكر الفخر الرازى اختلاف العلماء فى المراد من الرؤيا فى الآية السابقة ، وبين أقوالهم وفيما يلى ما ذكره بإيجاز :-

أولاً : أن الله تعالى أرى محمدًا فى المنام مصارع كفار قريش فحين ورد ماء بدر قال (والله كأنى أنظر إلى مصارع القوم) ثم أخذ يقول هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فلما سمعت قريش بذلك جعلوا رؤياه سخرية ، وكانوا يستعجلون بما وعد رسول الله ﷺ .

ثانيا : أن المراد رؤياه التى رآها أنه يدخل مكة ، وأخبر بذلك أصحابه ، فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية ، كان ذلك فتنة لبعض القوم ، وقال عمر لأبى بكر أليس قد أخبرنا رسول الله ﷺ أنا ندخل البيت ونطوف به ، فقال أبو بكر : إنه لم يخبر انا نفعل ذلك فى هذه

---

(١) روح المعانى للآلوسى ج ١٥ ص ٧ .

(٢) فتح البارى ج ٩ ص ١٣١ كتاب النكاح باب من بنى بامرأة وهى بنت تسع سنين .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٨ ص ٢٥٠ كتاب التفسير باب تفسير سورة الإسراء .

السنة ، فسنفعل ذلك فى سنة أخرى ، فلما جاء العام المقبل دخلها وأنزل الله : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾(الفتح: من الآية٢٧) .

وقد أعترض البعض على هذين القولين فقالوا هذه السورة مكية وهاتان الواقعتان مدنيتان ، وهذا الاعتراض ضعيف لأن هاتين الواقعتين مدنيتان أما رؤيتهما فى المنام فلا يبعد حصولها فى مكة .

ثالثا : وهو الأصح وهو قول أكثر المفسرين أن المراد بها ما أراده الله تعالى ليلة الإسراء ، واختلفوا فى معنى هذه الرؤيا فقال الأكثرون لا فرق بين الرؤية والرؤيا فى اللغة يقال : رأيت بعينى رؤية ورؤيا ، وقال الأقلون : هذا يدل على أن قصة الإسراء إنما حصلت فى المنام وهذا القول ضعيف باطل ، وقوله تعالى : (إلا فتنة للناس) معناه : أن النبى ﷺ لما ذكر لهم قصة الإسراء كذبوه وكفر به بعض من كان آمن به ، وأزداد المخلصون إيمانًا فلهذا السبب كان امتحانًا [1] .

الأدلة العقلية :-

أ - إن القول بنفى إسرائه ﷺ بالجسد يؤدى إلى القول بنفى نزول الوحى عليه لأنه كما يستبعد فى العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم إلى ما فوق العرش ، فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحانى من فوق العرش إلى مركز العالم فإن كان القول بمعراج محمد ﷺ فى الليلة الواحدة ممتنعًا فى العقول كان بنزول جبريل - عليه السلام - من العرش إلى مكة فى اللحظة الواحدة ممتنعًا ، ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنًا فى نبوة جميع الأنبياء - عليه السلام - والقول بثبوت الإسراء والمعراج فرع على التسليم بجواز أصل النبوة، فثبت أن القائلين بامتناع حصول حركة سريعة إلى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل - عليه السلام - من العرش إلى مكة ، ولما كان ذلك باطلاً كان ما ذكروه أيضًا باطلاً [2] .

ب - إن معظم البشر على اختلاف دينهم يسلمون بأن إبليس اللعين يمكنه الانتقال من المشرق إلى المغرب لأجل إلقاء الوساوس ، ويقولون أن وسوسة إبليس تتأتى عن طريق حركة سريعة يقوم بها ثم ينفون جواز مثل هذه الحركة السريعة فى حق أكابر الأنبياء

---

[1] التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢٠ ص ٢٣٦ بإيجاز .
[2] المرجع السابق ج ٢٠ ص ١٤٨ بتصرف يسير .

المصـــطفين الأخيار ، فإذا كانت مثل هذه الحركة السريعة ممكنة فى إبليس وذريته فإنها أيضًا تكون ممكنة الحصول فى البدن الإنسانـــى[١] .

ج – إن حادثة الإسراء هى من قبيل المعجزات ، والمعجزة كما عرفها العلماء هى أمر يعجز البشر متفرقين أو مجتمعين عن الأتيان بمثله ، وقد اشترط العلماء فى المعجزة أن تكون خارقـــة للعـــادة خارجة عن المألوف ، يقول القاضى عياض : المعجزة على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه ، فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبـــيه كصـــرف اليهود عن تمنى الموت فى مثل قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة٩٤ : ٩٥) .

وضرب هو خارج عند قدرتهم فلم يقدروا على الإتيان بمثله كأحياء الموتى لنبى الله عيسى – عليه السلام – وكحادثة الإسراء لنبى الله محمد ﷺ وهذا النوع لا يمكن أن يفعله أحـــدٌ إلا الله فيكون ذلك على يد النبى من فعل الله تصديقًا لنبيه فى دعوته وإظهارًا لدلائل نبوته بين الخلق[٢] ، ومن شأن المعجزات أن يصدقها البعض وينكرها البعض ، ولا ضرر من الإنكار إذا أتى عن طريق من لا يؤمن بالرسول والسيدة عائشة ، ونحن نعلم من هى لم تكن لتنكـــر ذلك وكيف تنكره ، وهى ترى الوحى ينزل على الرسول الكريم وهو فى بيتها ، بل نستطيع القطع بأنها متيقنة من أن الإسراء بالجسد هو من قبيل الممكنات وليس فيه استحاله على الإطلاق ، ولذلك نقول بأنها لا تعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند استحالة الظاهر وهو غير مستحيل ، وعليه يثبت كما سبق وبينا فى الأدلة النقلية – أن السيدة عائشة لم تقـــل بوقوع الإسراء بالروح فقط دون الجسد ويثبت وضع الرواية عليها – والله أعلى وأعلم .

مما سبق يتضح لنا أن الصحيح هو أن الإسراء كان بالروح والجسد يقظة لا منامًا ، وقـــد ذهـــب بعض العلماء إلى أن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان فى اليقظة ، وما بعد ذلك منام ، ويصح لقائل هذا القول أن يبنى فيقول قوله : (أسرى بعبده)

---

[١] التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢٠ ص ١٤٨ بتصرف .

[٢] انظـــر : الشـــفا فـــى التعـــريف بحقـــوق المصـــطفى للقاضـــى عـــياش ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ بتصرف وزيادة

نهايته كما قال (إلى المسجد الأقصى) كان بالجسد ، وقوله (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك) يريد ما كان فى المنام بعد ذلك .

واحتج القائل بهذا التفصيل بأن ذلك خُرج مخرج التمدح والإخبار بتشريفه عليه السلام ، ولا يقع التمدح بالأدنى مع وجود الأرفع ، فلو كان قد صعد إلى السماء بجسده لكان يقول – أسرى بعبده إلى السماء فهو أبلغ فى المدح من أن يقول – إلى المسجد الأقصى [1] .

والصحيح ما ذكرناه – فيما سبق – من أن الإسراء والمعراج جميعًا كانا بالروح والجسد وإلا انعدمت الفائدة من البراق والمعراج فالروح لا تحتاج إليهما فى الانتقال من مكان إلى مكان بل يحتاجها الجسد ، وهذا مذهب أكثر العلماء ، فهذا ابن جرير يرد ردًا شافيًا على القائلين بأن الإسراء بالروح يقول : (والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الأخبار عن الرسول ﷺ أن الله تعالى أمر بحمله على البراق حتى أتاه به وصلى هناك بمن صلى من الأنبياء والرسل وأراه ما أراه من الآيات ، ولا معنى لقول من قال أسُرى بروحه دون جسده ، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون الإسراء دليلاً على نبوته ولا حجة على رسالته ، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك ولم يكن منكرًا عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة السليمة من بنى آدم أن يرى الرأى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل ، وبعد فإن الله تعالى إنما أخبر فى كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده ، وليس جائزًا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره ، ثم إن الأدلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق ، ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق ، إذ الدواب لا تحمل إلا الأجسام إلا أن يقول قائل إن معنى قولنا : أسرى بروحه رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق فيكذّب حينئذ بمعنى الأخبار التى رويت عن الرسول ﷺ أن جبريل حمله على البراق لأن ذلك إذا كان منامًا على قول قائل هذا القول ، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب ، ولم يحمل على البراق جسم النبى ﷺ على قوله حُمل على البراق لا جسمه ولا شئ منه ، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين

---

[1] المُعلم بفوائد مسلم للمازرى ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥ .

وفى ذلك دفع لظاهر التنزيل ، وما تتابعت به الأخبار عن الرسول الكريم وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين) [١] .

وهذا أيضًا مذهب القاضى عياض يقول : (والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح فى القصة كلها ، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار وليس فيه استحالة ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ، وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا يُنكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره كان عن جسمه وحال يقظته ، أضف إلى ذلك ما ذكره فى الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء واستفتاح جبريل فى كل سماء وغير ذلك مما يؤكد أن الإسراء كان بالروح والجسد)[٢] .

وأخيرًا ، فإن الحق الذى يجب أن نعتقده وندين به أن الإسراء كان بالروح والجسد معًا لأن كل ما دل عليه ظاهر اللفظ قرآنا كان أم سنه ولم يتعارض مع دليل آخر أقوى منه ظهورًا أو مع حكم العقل وجب الأخذ به ، ولا يجوز التصرف فيه بمجرد كون غير مألوف أو غير داخل فى حدود مقدرة الإنسان ، ولله در القائل[٣] :-

يتساءلون وأنت أطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل الإسراء

بهما سموت مطهرًا وكلاهما ... نور وروحانية وبهاء

فضل عليك لذى الجلال ومنة ... والله يفعل ما يرى ويشاء

كما قال :-

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه ... والرسل فى المسجد الأقصى على قدم

لما خطرت به التفوا بسيدهم ... كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

******

---

[١] جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى ج ١٥ ص ١٣ ، ١٤ بتصرف يسير .

[٢] انظر : الشفا ج ١ ص ١٧٧ بتصرف ، وفتح البارى ج٧ ص ٢٣٧ باب حديث الإسراء ، والفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد للبنا ج ٢ ص ٢٤٤ .

[٣] هذه الأبيات للشاعر أحمد شوقى من قصيدته الهمزية والتى عارض بها همزية البوصيرى ، وانظر : نهج البردة ص ٢٠ .

المبحث الثالث

السيدة عائشة والرؤية

نفت السيدة عائشة فى أكثر من رواية رؤية النبى ﷺ لربه ليلة الإسراء ، وشددت النكير على من قال بالرؤية ومن هذه الروايات .

١ – أخرج البخارى بسنده من حديث القاسم عن عائشة قال : من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية ، ولكن قد رأى جبريل فى صورته وخلقه سادًا ما بين الأفق [١]

٢ – أخرج البخارى ومسلم من حديث مسروق قال قلت لعائشة : يا أمتاه هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعرى مما قلت ، من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(الأنعام:١٠٣) ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين [٢].

٣ – أخرج مسلم فى صحيحه والبيهقى فى الدلائل عن عائشة قالت : من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، فقلت يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى ألم يقل الله عز وجل : (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) (التكوير:٢٣) ، (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) (النجم:١٣) ، فقالت : أنا أول هذه الأمه سأل رسول الله ﷺ فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خُلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلعه ما بين السماء والأرض ، وقالت أو لم تسمع الله عز وجل يقول : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) (الشورى:٥١) .

ومذهب السيدة عائشة ومن وافقها هو نفى رؤية محمد ﷺ لربه ليلة المعراج بل نفى الرؤية فى الدنيا مطلقًا .

---

[١] انظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١ ص ٥٤ باب أول ما بدىء به الرسول من الوحى وانظر كتاب بدء الخلق ج ٦ ص ٣١٣ .

[٢] صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب إثبات رؤية الله سبحانه ج ٣ ص ٨ ، ٩

وها نذا أحاول تجلية هذا الموضوع وبيان الحق فيه معتمدة فى ذلك على ما ثبت من الروايات ومحاولة التوفيق بين ما ظاهره التعارض كى أصل إلى رأى تدعمه الأدلة .

وفى البحث عن الحقيقة فى هذا المقام نعرض لثلاث مسائل :-

الأولى : أقوال العلماء فى جواز رؤية الله فى الآخرة .

الثانية : إمكان رؤية الله فى الدنيا .

الثالثة : هل محمد ﷺ رأى ربه ليلة المعراج .

وفى الصفحات القليلة القادمة نحاول استجلاء الحقيقة فى المسائل الثلاثة ونسأله جل وعلا العون فهو نعم المولى ونعم النصير .

المسألة الأولى : جواز رؤية الله فى الآخرة :-

أجمع أهل الحق أن رؤية الله واقعة فى الآخرة ، وأن المؤمنين سوف يرون ربهم عيانًا جهارًا ، وقد تظاهرت على ذلك أدلة الكتاب والسنة ، وعليه إجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف هذه الأمة ، ويكفى القول أن آيات القرآن الكريم نصت على وقوعها ، وإن أحدًا وعشرين صحابيًا رووا أحاديث عن النبى ﷺ تثبت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة [1] .

وذهبت المعتزلة عن الحق وجهم بن صفوان إلى أن الله تعالى لا يرى فى الآخرة ونسب هذا القول إلى مجاهد وعذره فى ذلك أن خبر جواز الرؤية لم يبلغه ، ونسب أيضًا إلى الحسن البصرى وعكرمة والصحيح أنهما قالا بالإيجاب الرؤية له فى الآخرة .

وذهبت المجسمة إلى أن الله يرى فى الدنيا والآخرة [2] .

والراجح فى ذلك ما ذهب إليه أهل السنة من جواز رؤيته جل وعلا فى الآخرة لصحة الأحاديث الواردة عن النبى ﷺ فى هذا الشأن والتى سنذكرها بعد قليل ، وقد قال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) : لا تدركه الأبصار فى الدنيا ، ويراه المؤمنون فى الآخرة لإخبار الله تعالى بها فى قوله : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة:٢٣) قاله السدى وهو أحسن ما قيل لدلالة التنزيل ، والأخبار الواردة برؤيته

---

(١) انظر سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٥٥ بإيجاز وتصرف .

(٢) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ج ٣ ص ٢ ، ٣ ، وانظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٤٠

سبحانه فى الجنة وكما جاء فى قوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس:٢٦) .

ويكاد يجمع أهل العلم على أن المراد من الآيتين بيان ما أنعم الله على عباده المؤمنين يوم القيامة من نعمة عظيمة لا تضاهيها نعمة وهى رؤيته جل وعلا .

يقول ابن كثير : (وجوه يومئذ ناضرة) من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة (إلى ربها ناظرة) أي تراه عيانًا كما رواه البخارى فى صحيحه (إنكم سترون ربكم عيانًا) ... ثم يقول وقد ثبتت رؤية المؤمنين لربهم عز وجل فى الدار الآخرة فى الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها كحديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريره – رضى الله عنهما – وهما فى الصحيحين أن ناسًا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ قالوا : لا قال : إنكم ترون ربكم كذلك .

وفى الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلى قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) [١]

ثم يذكر – رحمه الله – الكثير من الأحاديث التى تثبت الرؤية ويقول : ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن [٢] .

وعليه فالقول بوقوع رؤيته سبحانه يوم القيامة هو ما أجمعت عليه الأمة واتفق عليه الأئمة ، ومن تأول (إلى) فى قوله تعالى (إلى ربها ناظره) بأنها مفرد الآلاء وهم النعم كما ورد عن مجاهد قال : تنتظر الثواب من ربها ، فقد أبعد النجعة ، وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين:١٥) ، قال الشافعى – رحمه الله – ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل [٣] .

أضف إلى ذلك أن جمع غفير من كبار الصحابة على رأسهم أبو بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وابن عباس وغيرهم قد فسر الزيادة فى قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا

---

[١] انظر أحاديث الرؤية فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ج٢ ص ٤٠ ، وفضل صلاة الفجر ج٢ ص ٦٠ وغير ذلك وكذلك انظر مسلم بشرح النووى باب إثبات الرؤية ج٣ ص ١٥ : ٢٩ .

[٢] تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٥١ بتصرف .

[٣] انظر منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٧٥ .

الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) (يونس: من الآية٢٦) برؤية الله عز وجل يوم القيامة وتابعهم على ذلك الكثير من التابعين من أمثال الضحاك وعكرمة والحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ، وعطاء وقتادة وغيرهم .

وقد قال المفسرون فى تفسير قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى والزيادة) أنها إخبار منه تعالى لمن أحسن العمل فى الدنيا بالإيمان والعمل الصالح بأن له الحسنى فى الدار الآخرة كقوله تعالى : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن:٦٠) ، والزيادة عند إطلاقها يراد بها تضعيف ثواب الأعمال الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضًا ، ويشمل ما يعطيهم الله فى الجنان من القصور والحور والارضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرة أعين ، وأفضل ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، وهم لا يستحقونها بعلمهم بل بفضله ورحمته .

وقد ورد تفسير الحسنى بالزيادة فى أحاديث مرفوعة من ذلك ما رواه الإمام مسلم بسنده أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناديًا : أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون ما هو ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فو الله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لاعينهم) [1] .

وقد روى ابن جرير وابن كثير وغيرهما العديد من الأحاديث فى هذا الشأن ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع إليها [2].

وما ذهب إليه أهل السنة من جواز رؤيته سبحانه وتعالى فى الآخرة هو الصحيح أما ما احتج به الذين أنكروا الرؤية من قولهم أنها إنما تقع على الألوان ولا تقع على ما عداها والبارئ مبعد عن الألوان وعلى هذا فلا تجوز رؤيته لأنه ليس بلون ولا جسم فهو منزه عنهما ، فالرد على هؤلاء سهل يسير لأننا لم نقل بأن كل واحد يستطيع رؤية الله فى الدنيا ، وإنما قلنا أنه تعالى يُرى فى الآخرة ، وذلك بقوة غير القوة الموضوعة فى العين وهى قوة موهوبة من الله عز وجل ، وقد سماها بعض العلماء الحاسة السادسة ، وبيان ذلك أننا نعلم

---

[1] انظر : مسلم بشرح النووى باب إثبات رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة ج ٣ ص ٧ ، ومسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٣٣٤ .

[2] انظر جامع البيان للطبرى ج ص ، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤١٥

الله عـــز وجل بقلوبنا علمًا صحيحًا هذا مما لا شك فيه ، فيضع الله سبحانه فى الأبصار قوة نشاهد بها الله تعالى كالتى وضعت فى الدنيا فى القلب ، وبذلك نراه جل وعلا يوم القيامة — رزقنا الله النظر إلى وجهه الكريم واحتج منكرو الرؤية أيضًا بقوله تعالى : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الأنعام:١٠٣) .

وقـــد ذهب ابن حزم وغيره أن هذه الآية لا حجة فيها على نفى الرؤية لأنه تعالى نفى الإدراك ، والإدراك فى اللغة معنى زائد عن الرؤية وهو معنى الإحاطة ، وليس هذا المعنى فى الرؤية والنظر فنحن ننظر إلى القمر والشمس فنراهما ولا نقول إننا أحطنا بهما ، فالإدراك منفى عنه سبحانه وتعالى على كل حال فى الدنيا وفى الآخرة .

وقد استشهد ابن حزم على رأيه بقوله تعالى : (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَـــى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الشعراء:٦١ ، ٦٢) ، فقال : إن الله تعـــالى فـــرق بين الإدراك والرؤية فرقًا جليًا لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله (فلما تراءى الجمعان) فأخبر أنه رأى بعضهم بعضًا فصحت منهم الرؤية لبنى إسرائيل ونفى الله الإدراك بقول موسى (كلا إن معى ربى سيهدين) فأخبر الله تعالى أن فرعون وملأه رأوا بنى اسرائيل ولم يدركوهم ولا شك أن ما نفاه الله عز وجل غير الذى أثبته فالإدراك غير الرؤية[1] .

وقد اعترض على تفسير ابن حزم : الإدراك فى الآية بالإحاطة وقد إنما المراد بقوله (مدركون) أي ملحقون أي سيلحق بنا العدو ولا طاقة لنا به ، يقول القرطبى فى الآية : لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى وقرب منهم ورأت بنو إسرائيل العدو القوى خلفهم والبحر أمـــامهم ساءت ظنونهم قالوا لموسى على وجه التوبيخ والجفاء (إنا لمدركون) فرد عليهم قـــولهم وزجـــرهم وذكرهم وعد الله سبحانه له بالهداية والظفر (كلا) أي لم يدركونا ولم يلحقوا بنا [2] .

وعلـــى الرغم من الاعتراض السابق على المراد بالإدراك فى الآية إلا أن هناك فرقًا جليًا بين الإدراك والإحاطة فقد ندرك الشئ ولا نحيط به ، ولذلك فالذى نميل إليه ونرجحه أن رؤيـــته سبحانه جائزة وواقعة يوم القيامة وإنما تمتنع رؤيته فى الدنيا لضعف تركيب أهل الدنـــيا وقواهم وكونها متغيرة وعرضة للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية ، فإذا

---

[1] الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ج ٣ ص ٢ ، ٣ بتصرف وإيجاز .
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٣ ص ١٠٦ .

كانوا فى الآخرة ركبوا تركيبًا آخر ورزقوا قوة ثابتة باقية ، وأتم الله أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا على الرؤية[١] .

المسألة الثانية : إمكان رؤيته سبحانه فى الدنيا :-

اختلف العلماء فى هذه المسألة اختلافًا كبيرًا ، فمنهم من أنكر الرؤية فى الدنيا ، وقال باستحالتها عقلاً وشرعًا ، واستدل على ذلك بآية الأنعام السابقة وبقوله ﷺ : (اعلموا إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) [٢] .

وجاء عن الإمام الأشعرى فى جواز الرؤية فى الدنيا روايتان أحداهما بالجواز والأخرى بالمنع ، ولكن الذى عليه أهل السنة قاطبة أن الله تعالى لم يره أحد بعينه فى الدنيا ، وذكر الإمام أحمد وغيره اتفاق السلف على هذا النفى ، ولم يتنازعوا إلا فى النبى ﷺ خاصة [٣] .

ورأى الكثير من العلماء أنها غير مستحيلة لا عقلاً ولا شرعًا لما يأتى :-

أولاً : إن الله تعالى موجود وكل موجود يصح أن يُرى فالله سبحانه يصح أن يُرى .

أما القضية الصغرى وهى وجود الله فظاهرة ، وأما الكبرى فلأن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا ، وقد تبين أن الوجود هو العلة لصحة الرؤية وعدم استحالتها .

ثانيًا : أن موسى كليم الله – عليه السلام – طلبها ولو كانت مستحيلة لما طلبها لأنه نبى فهو يعلم ما يجوز وما يستحيل .

ثالثًا : ثبت أنه تعالى كلم موسى بنص قوله : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (النساء: من الآية ١٦٤)، وقوله : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) (الأعراف: من الآية١٤٣)

يقول القرطبى : (تكليما) مصدر معناه التأكيد وهذا يدل على بطلان من يقول : خلق لنفسه كلامًا فى شجرة فسمعه موسى بل هو الكلام الحقيقى الذى يكون به المتكلم

---

[١] الشفا للقاضى عياض ج ١ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ بتصرف يسير .

[٢] ذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٢٥٤٦ ورمز لضعفه وذكره السيوطى فى جمع الجوامع ج ٥ ص ٢٦٣٢ وقال اخرجه الطبرانى فى السنة عن أبى أمامة ، وذكره ابن حجر فى الفتح ج ٨ ص ٤٧٤ فى تفسير سورة النجم ونسبه إلى مسلم وابن خزيمة فى صحيحه عن أبى أمامة .

[٣] منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٧٧ .

مـــتكلمًا ، قال النحاس : أجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازًا ، فلما قال تعالى : (تكليمًا) وجب أن يكون كلامًا على الحقيقة من الكلام الذى يُعقل[١] .

والمراد بقوله (وكلمه الله) الاعراف / ١٤٣ أزال الحجاب عنه حتى سمع كلامه بجمـــيع أجـــزائه من جميع جهاته ، لا أن الله تعالى أنشأ له الكلام ، لأنه تعالى دائمًا متكلم يستحيل عليه السكوت والآفة ، ولم يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة ، ولما سمع موسى الكلام اشتاق للرؤية ، فسأل ربه أن يزيل عنه حجاب البصر كما أزال عنه حجاب الســـمع ، إذ لا فرق بين الحاستين فقال (رب أرنى أنظر إليك) فقد سأل موسى جائزًا لأن كل من جاز سماع كلامه جازت رؤيته ، فقال تعالى (لن ترانى) أي لا طاقة لك على رؤيتى فى الدنيا وهذا لا يقتضى أنها مستحيلة عقلاً وإلا لما علقت على جائز وهو استقرار الجبل ، وقـــوله تعالى : (ولكن انظر إلى الجبل) هذا من تنزلات الحق لموسى وتسلية له على ما فاته من الرؤية إذ علق إمكانية الرؤية على استقرار الجبل (فإن استقر مكانه فسوف ترانى) أي تثـــبت لرؤيتى وإلا فلا طاقة لك (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا) أي ســـقط مغشيًا عليه ذاهبًا عن حواسه ، ولذا لا يصعق عند النفخة (فلما أفاق قال سبحانك تـــبت إليك) أي تبت إليك من سؤال ما لم أومر به ، وليس المراد أن طلب الرؤية معصية وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين)[٢] .

ممـــا سبق يتضح لنا أن قول موسى – عليه السلام – (رب أرنى أنظر إليك) من أعظم الأدلة على أن رؤيته تعالى فى الجملة جائزة بقطع النظر عن الدنيا أو الآخرة ، وذلك لأن طلب المستحيل من الأنبياء – عليهم السلام – محال لأنه إن علم باستحاله فطلبه كان عبثًا ، وإن لم يعلم فجهل ، وكلاهما غير لائق بمقام النبوة ، وقد اعترض المعتزلة بقولهم نختار أن موسى – عليه السلام – لم يعلم امتناع رؤيته سبحانه ولا يعز ذلك لأن النبوة لا تتوقف على العلم بجميع العقائد الحقة وجميع ما يجوز وما لا يجوز بل على ما يتوقف عليه الغرض من البعثة ، والدعوة إلى الله تعالى وهو وحدانيته وتكليف عباده بأوامر أو نواهٍ ليحرضهم على النعـــيم المقـــيم ، ولا نسلم أن امتناع الرؤية من هذا القبيل ، أو نختار أنه يعلم امتناعها ، وسؤاله إياها لغرض أو هو محرم ارتكبه لكنه صغيرة من الصغائر .

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٦ ص ١٨ .

[٢] حاشـــية الصـــاوى علـــى تفســـير الجلالـــين ج ٢ ص ١١٧ ، ١١٨ بإيجـــاز وتصرف .

الـــــرد :-

إذا سلمنا بقولهم يلزم أن يكون الكليم – عليه السلام – دون آحاد المعتزلة علمًا ودون مـــن حصل له طرفًا من الكلام فى معرفة ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز وهذه كلمة حمقـــاء وطريقة عوجاء لا يسلكها أحد من العقلاء ، ولا شك أنا نعتقد أن علم الأنبياء – عليهم السلام – بذاته وصفاته أكمل من علم غيرهم [١] .

وهنا يرد سؤال مؤداه إذا كانت رؤيته جل وعلا ممكنة فى الدنيا فلماذا لا نراه ؟؟

والجـــواب : أن رؤيته تعالى ممكنة عقلاً وسمعًا ، ولا يلزم من ذلك وقوعها وإنما لم تقع لنا لجرى عادته سبحانه بعدم خلق القدرة فينا على الرؤية مع جواز خلقها فينا فهى إذن غير مستحيلة .

وأيضًـــا نقول : إنه سبحانه قادر على خلق قوة فى خلقه ليروه بها ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك كما يحدث عندما يلتقى بعضنا ببعض ... ثم إن الرؤية ليست لكل البشر وإنما هى خاصة بالمؤمنين [٢] .

وسؤال آخر : هل يلزم من رؤيته سبحانه إثبات جهة له ؟ .

والجـــواب : بالنفى فلا يلزم من رؤيته جل وعلا إثبات جهة له – تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا – بل يراه الامؤمنون لا فى جهة كما يعلمون أنه لا فى جهة [٣] .

بقى القول بأن قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) والتى استدل بها النافون للرؤية اختلف العلماء فى المراد منها فقيل أن الإدراك هو الإحالة والرؤية لا يلزم منها الإدراك كما سبق وبينا ، وقيل المراد لا تدركه أبصار الكفار وغير ذلك .

ثم أن قـــوله تعالى (لا تدركه الأبصار) ليس فيه دلالة على نفى الرؤية فى عموم الأوقـــات ولا فى جمـــيع الأحوال ، وإنما المراد نفى الرؤية فى وقت معين وحال معين وذلك بالنســـبة إلى دار الدنيا جمعًا بين الأدلة السمعية ، ولذا قال أبو العباس القرطبى فى المفهم : الأبصار جمع محلى بالألف واللام فيقبل التخصيص ، وقد ثبت ذلك سمعًا فى قوله تعالى : (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (المطففين:١٥) ، فيكون المراد بذلك الكفار بدليل قوله

---

[١] الجامـــع لاحكـــام القـــرآن للقرطبـــى ج ٧ ص ٥٤ ومـــا بعـــدها ، وانظـــر حاشـــية الشهاب على البيضاوى ج٤ ص ٢١٤ .

[٢] سبل الهدى والرشاد للصالحى ج ٣ ص ٥٤ ، ٥٥ بتصرف .

[٣] المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة : ٢٢ ، ٢٣) ، قال فإذن جازت فى الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة إلى الرائى ، وهذا استدلال جيد [١] .

المسألة الثالثة : هل رأى محمد ﷺ ربه ليلة المعراج ؟ :

وهذه المسألة أيضًا من المسائل التى اختلفت فيها أنظار العلماء قديمًا وحديثًا فمنهم من أثبتها ، ومنهم من نفاها ، ومنهم من قيدها بالرؤية القلبية لا البصرية ، بل توقف البعض فى هـذه المسـألة ، ولم يقطـع فيها برأى واحتج لموقفه بأن الأدلة فى هذه المسألة متعارضة والروايات متناقضة .

وسـنحاول – بمشـيئة الله – تجلية الموقف وبيان الوجه الاذى نميل إلى صحته ، والتوفيق بين ما ظاهره التعارض ، ثم الترجيح بين الآراء .

النافون للرؤية وأدلتهم :–

ذهـب جمـع من الصحابة على رأسهم السيدة عائشة وعبد الله ابن مسعود وأبو هريـره إلى القول بنفى رؤية النبى ﷺ لربه ليلة المعراج ونقل مثل ذلك عن الحسن البصرى وغـيره مـن التابعين ، وسار عليه الكثير من المحدثين والمتكلمين ، بل بالغ الحافظ الدارمى وحكى فيه الإجماع .

وقد سبق ذكر الروايات [٢] فى هذا الشأن والتى نفت فيها – أم المؤمنين – عائشة الـرؤية ، وكانت – رضى الله عنها – تشتد فى الإنكار على من يثبتها وما جاء عن السيدة عائشة من نفى للرؤية هى روايات صحيحة الإسناد ولا يستطيع أحد الطعن فى سندها .

والمتأمل للروايات الواردة عن السيدة عائشة فى هذا الشأن يجدها حوت على عدة أمور :–

الأول : ذكرت الروايات أن السيدة عائشة كانت أول الناس سؤالاً للنبى ﷺ عن هذا الأمر ، وقد أجابها بأنه رأى جبريل على صورته الحقيقية .

الـثانى : أن السيدة عائشة فهمت من جواب النبى لسؤالها أن كل ما جاء فى القرآن مما فيه لفظ الرؤية كقوله تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) (التكوير:٢٣) ، (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) (لنجم:١٣) فإن المقصود منه رؤية جبريل وليس رب العزة .

---

[١] سبل الهدى والرشاد للصالحى ج ٣ ص ٥٧ .

[٢] انظر : الروايات ص من هذا المبحث .

الثالث : أنها استدلت على نفى الرؤية بآيات من القرآن كقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار ...) الآية ، وكقوله : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ... الآية) .

أما قول السيدة عائشة بأنها أول من سأل النبى ﷺ فأجابها بقوله : إنما هو جبريل لم أره علـى صورته التى خُلق عليها غير هاتين المرتين ، فيلزم منه أنها علمت من النبى ﷺ أنها أول من سأله فى هذه المسألة ، وإنه لم يسبقها أحد من الصحابة إلى مثل هذا السؤال ، لأنه يبعد أن تكون – رضى الله عنها – قد حضرت كل مجالس الرسول ﷺ وسمعت كل ما دار فيها ويلزم من ذلك أمر آخر وهو أنه منذ حدثت قصة الإسراء إلى أن هاجر النبى ﷺ إلى المدينـة وبنَى بعائشة لما يسأله أحد هذا السؤال وهو بعيد لعلمنا مدى حرص الصحابة على معرفة القرآن وفهمه ، وكل ما يتعلق به من حوادث ووقائع .

أضف إلى ذلك ما ورد من روايات أخرى يفهم منها وقوع السؤال قبل ذلك كما جاء فى سؤال أبى ذر للنبى ﷺ هل رأيت ربـك ؟ فأجابه الرسول بما أجاب به .

ولـذا أرجح أن قول السيدة عائشة ليس على حقيقة ، وإنما المراد أنها كانت من السابقين فى مثل هذا الشأن ، أو أنها أول من سأله من زوجاته .

والـذى يهمـنا أن السؤال وقع من السيدة عائشة وأجابها النبى عليه ، والرواية صحيحة الإسناد ، فلا يستطيع أحد أن يتحدث عن السند إلا أن نقول كما ذهب ابن خزيمة أن رسول الله خاطب عائشة على قدر عقلها ، وهذا مردود عليه بروايات أخرى تحمل نفس المعـنى عـن ابن مسعود فى قوله تعالى (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) (لنجم:٩) قال : قال رسـول الله ﷺ : (رأيت جبريل له ستمائة جناح) [١] .

وقد قال الزركشى بعد ذكره لروايات عائشة : قول عائشة قاطع فى هذه المسألة إذ صرحت فيه بالدفع ولذلك لا قول مع قولها[٢]

وأمـا استدلالها بقوله تعالى : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الأنعام:١٠٣) وأن هذه الآية تنفى الرؤية نفيًا قاطعًا .

هذا الاستدلال غير صحيح لأن الإدراك يختلف عن الرؤية – كما سبق وذكرنا – ولأن الإدراك هـو الإحاطة والله لا يحاط به ، فإذا ورد النص بنفى الإحاطة لا يلزم منه نفى

---

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ج ٣ ص ٣ باب ذكر سدرة المنتهى .
(٢) الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة ص ٨٦ بإيجاز .

الرؤية بدون إحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بدون إحاطة فظهر أن الآية لا تصلح دليلاً لنفى الرؤيـــة [١] .

وأمـــا استدلالها بقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) (الشورى:٥١) .

فالجواب عنه من أوجه :-

احدها : لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير الكلام .

الثانى : أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة .

الثالث : أن الآية حصرت التكليم فى هذه الثلاثة أما الوحى وهو الإلهام ، وهو أن ينفث فى روعـــه الكـــلام نفثا كما قال عليه السلام : (إن روح القدس نفسى فى روعى أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) [٢].

وذهـــب اكثـــر العلماء إلى أن المراد بقوله : (إلا وحيًا) هو أن ينفث فى روعه بالوحى [٣] ، وهذا النوع والرؤيا الصالحة يطلق عليها الوحى الخفى .

وقد يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه ، ومنها أن يتمثل له الملك رجلاً كما كان يأتيه فى صورة دحيـــــــة ابن خليفة ، وقد يتراءى له جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها ستمائة جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت ، والأنواع السابقة هى المشار إليها فى قوله تعالـــى :(أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ) (الشورى: من الآية٥١) .

ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب وهذا إما فى اليقظة كما كلمه ليلة الإسراء ، وإمـــا فى النوم كما جاء فى حديث معاذ قال : أتانى ربى فى أحسن صورة ، فقال فيم يختصم

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووى ج ٣ ص ٥ ، ٦ باب ذكر سدرة المنتهى .

[٢] ذكره ابن كثير ج ٤ ص ١٢٢ ونسبه لابن حيان وأخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥٧ حديث رقم ٥٩٢٩ وقال أخرجه فى حلية الاولياء عن أبى أمامه وذكر فى جمع الجوامع ج ٣ ص ١٨٣٣ أن العسكرى أخرجه فى الأمثال ولم يعقب عليه .

[٣] اخرجه الترمذى فى كتاب التفسير حديث رقم ٣٢٨٧ وقال صحيح ، انظر كنز العمال ج ١٦ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، وجمع الزوائد للهيثمى ج ٧ ص ١٧٧ وقال سئل عنه أحمد فقال : انه صواب .

الملأ الأعلى ، فقلت : لا أدرى ، فوضع كفه فوجدت بردها فى ثدى ... الخ الحديث[١] وهذا يكون كفاحًا بدون حجاب[٢]

والرؤية بدون كلام وراء هذه الأنواع ، وبذلك ظهر أن الآية لا تنفى الرؤية [٣].

وقبل الحديث عن أدلة المثبتين للرؤية أود العروج إلى ما جاء من روايات قد يفهم منها إثبات الرؤية وهى فى حقيقتها نافية لها كالأحاديث التالية :-

(١) ما أخرجه مسلم بسنده عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنى أراه [٤].

(٢) وأخرج مسلم بسنده عن عبد الله بن شقيق أيضًا قال : قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله لسألته فقال عن أي شئ كنت تسأله ؟ قال : كنت اسأله : هل رأيت ربك ، قال أبو ذر قد سألته فقال : رأيت نورًا [٥].

فهذه الروايات وما شابهها ليست دليلاً على الرؤية كما يتوهم بعض الناس بل هى دليل على نفيها فقوله ﷺ نور أنى أراه ، معناه حجابه النور فكيف أراه ، ولذا قال المازرى – رحمه الله – الضمير فى أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ، ومعناه أن النور منعنى من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائى وبينه وقوله ﷺ (رأيت نورًا) أي رأيت نورًا فحسب ولم أر غيره [٦].

فليس المراد من الأحاديث السابقة إثبات الرؤية لأنه من المستحيل أن تكون ذات الله نورًا إذ النور من الأجسام والله سبحانه يجل عن ذلك ، وهذا هو مذهب جميع أئمة المسلمين [٧].

---

(١) اخرجه الترمذى فى كتاب التفسير حديث رقم ٣٢٨٧ وقال صحيح ، انظر كنز العمال ج ١٦ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، وجمع الزوائد للهيثمى ج ٧ ص ١٧٧ وقال سئل عنه أحمد فقال : انه صواب .

(٢) الروض الأنف للسهيلى ج ١ ص ٢٧٠ .

(٣) مسلم بشرح النووى باب ما جاء فى رؤية الله عز وجل ج ٣ ص ١٢ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزئ ونفس الصفحة والباب .

(٥) انظر : المعلم بشرح صحيح مسلم للمازرى ج ١ ص ٩٩ بتصرف .

(٦) انظر : المعلم بشرح صحيح مسلم للمازرى ج ١ ص ٩٩ بتصرف .

(٧) الشفا للقاضى عياض ج ١ ص ٢٠٥ .

وقد قال الزركشى : قوله ﷺ رأيت نورًا مصرح بنفى الرؤية إذ لو أراد الإثبات لقال نعم أو قال رأيته [١] .

ثانيًا : المثبتون للرؤية وأدلتهم :-

وذهب جمع غفير من سلف هذه الأمة وخلفها إلى إثبات رؤية النبى لربه ليلة المعراج ومن هؤلاء ابن عباس وكعب الأحبار وأبى ذر الغفارى واختلفت الرواية عن عبد الله بن مسعود وأبى هريرة فجاء فى بعضها القول باثباتها وفى الآخر القول بنفيها ، وكان الحسن البصرى يحلف على أن محمدًا رأى ربه وكذا جاء عن الإمام أحمد اثباتها وكذلك عن أبى الحسن الأشعرى وغيرهم ، ثم هل المراد بالرؤية ها هنا الرؤية البصرية أم الرؤية القلبية ؟ خلاف .

القائلون بإثبات الرؤية البصرية :-

(١) أخرج الترمزذى بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لا تدركه الأبصار) قال : ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين ، قال الترمذى حسن صحيح [٢] .

يقول ابن حجر وحاصله أن المراد بالآية نفى الإحاطة به عند رؤياه لا نفى أصل رؤياه .

(٢) أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (رأيت ربى تبارك وتعالى) [٣] .

(٣) وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس قال (نظر محمد إلى ربه) .

(٤) وأخرج الحاكم بسنده عن ابن عباس قال : (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ) [٤] .

---

[١] الإجابة للزركشى ص ٨٧ ، ٨٨ بتصرف .

[٢] ذكره ابن حجر فى فتح البارى ج ٨ ص ٤٧٣ كتاب التفسير باب تفسير سورة النجم ، وانظر الحديث فى سنن الترمذى كتاب التفسير ج ص

[٣] مسند الإمام أحمد ج٤ ص ٢٠١ وقال الهيثمى رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ج ١ ص ٧٨ .

[٤] انظر فتح البارى ج ٨ ص ٤٧٤ كتاب التفسير باب تفسير سورة النجم .

(٥) وأخرج ابن خزيمة بإسناد قوى عن أنس قال : (رأى محمد ربه)

(٦) وروى الخلال فى كتاب السنه عن المروزى قال : قلت لأحمد إنهم يقولون أن عائشة قالت (من زعم أن محمدًا رأى ربه فقه أعظم على الله الفرية) فبأى شئ يدفع قولها ؟ قال بقول النبى (رأيت ربى) قول النبى أكبر من قولها . [١]

(٧) وروى عبد الرزاق بسنده عن الحسن أن محمدًا رأى ربه ، وكان عروة بن الزبير – رضى الله عنه – يثبت الرؤية للنبى ﷺ ويغضب إذا ذكر له إنكار السيدة عائشة[٢] [٣].

القائلون بإثبات الرؤية القلبية :–

المراد بالرؤية القلبية : أن يحصل لقلب النبى ﷺ حالة بما يرى الله عز وجل ، وهذه الحالة مثل قوة الإبصار المودعة فى العين التى بها تدرك المبصرات ، وهذه الحالة القلبية فوق العلم والمعرفة .

يقول ابن حجر : (المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لأنه ﷺ كان عالمًا بالله على الدوام ، بل المراد أن الله تعالى خلق له فى قلبه ما يرى الله به كما تخلق الرؤية بالعين) [٤].

وقد ذهب بعض العلماء إلى إثبات الرؤية القلبية وقد استندوا فى ذلك على الروايات الآتية :–

١– ما أخرجه مسلم بسنده عن ابن عباس فى قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) ، (ولقد رءاه نزلة أخرى) ، قال : رأى ربه بفؤاده مرتين .

٢– وأخرج مسلم من طريق عطاء عن ابن عباس وقد سئل : هل رأى محمد ربه ؟ قال رآه بقلبه [٥] .

---

(١) انظر : فتح البارى كتاب التفسير باب تفسير سورة النجم ج ٨ ص ٤٧٤ .

(٢) كنز العمال للبرهان فورى عن أحمد ج ١٤ ص ٤٤٨ وقال المنادى فى الفيض ج ٤ ص ٦ قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح .

(٣) فتح البارى ج ج ص ٤٧٤ .

(٤) فتح البارى ج ٨ ص ٤٧٤ كتاب التفسير تفسير سورة النجم .

(٥) انظر هذه الأحاديث فى صحيح مسلم بشرح النووى ج٣ ص ٧ باب إثبات رؤية الله تعالى ، وفتح البارى ج ٨ ص ٤٦٩ كتاب التفسير باب تفسير سورة النجم ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٥١ .

٣- أخرج ابن مردويه من طريق عطاء أيضًا عن ابن عباس قال : لم يره رسول الله بعينه ، وإنما رآه بقلبه .

٤- أخرج ابن جرير وابن ابي حاتم بسندهما عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ قلنا : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال لم أره بعيني ورأيته بفؤادى مرتين ثم تلا (ثم دنا فتدلى) [١] .

ثالثًا : القائلون بالتوقف :-

واختار بعض العلماء التوقف فى هذه المسألة وعدم القطع فيها برأى وقالوا إن الأحاديث فى هذه المسألة متعارضه ، وليس هناك دليل قاطع يرجح أحدها على الآخر ، بل الأدلة فى مجملها ظنية وهى قابلة للتأويل ، وقالوا : ليست مسألة الرؤية من العمليات التى يكفى فيها الأدلة الظنية ، بل هى من المعتقدات التى يجب أن تكون أدلتها قطعية وقد رجح أبو العباس القرطبى فى (المفهم) القول بالوقف فى المسألة وعزاه لجماعة من المحققين [٢] .

هذا ملخص ما جاء فى الرؤية من الآحاديث والآثار ، وما كان للعلماء فيها من أراء واستدلال ، وقد انقسم خلف هذه الأمة تبعًا لهذه الآراء فمنهم من رجح القول بإثبات الرؤية ومنهم من رجح النفى وشدد النكير على من اثبتها ، وتقدم القول أن ابن عباس – رضى الله عنه – كان يثبت الرؤية ليلة المعراج واستشهد على رآيه بقوله تعالى : (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) (النجم:١٣ : ١٥)وتابعه على ذلك جماعة من السلف والخلف وخالفه جماعات من الصحابة والتابعين وغيرهم .

وقد حاول ابن كثير التوفيق بين الروايات المثبتة للرؤية والروايات النافية لها فقال : من أطلق الرؤية فهى محمولة على المقيدة بالفؤاد ، ومن روى أنه رءاه ببصره فقد أعزب ، فإنه لا يصح فى ذلك شئ عن الصحابة – رضى الله عنهم – وقول البغوى فى تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رءاه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر [٣] .

وهنا يرد سؤال : هل نفت السيدة عائشة الرؤية مطلقًا ؟؟

---

[١] فتح البارى ج ٨ ص ٦٤٩ كتاب التفسير باب تفسير سورة النجم ، وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥١ .

[٢] فتح البارى ج ٨ ص ٦٤٩ كتاب التفسير باب تفسير سورة النجم ، وانظر سبل الهدى والرشاد للمصالحى ج ٣ ص ٥٩ .

[٣] تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٥١ .

يجيب المازرى عن هذا فيقول : إن السيدة عائشة لم تنف الرؤية مطلقًا ، وإنما نفتها فى الدنيا ، فإنكارها فى هذا الحديث وغيره على من سألها عن الرؤية محملة عند أهل العلم على أنها إنما أنكرت الرؤية فى الدنيا لا أنها ممن يحيل جواز رؤية الله تعالى كما قالت المعتزلة[1] .

ويقول الشيخ المطيعى بعد إيراده عدة روايات عن عائشة (وقد ذهب البعض أن عائشة – رضى الله عنها – لا تنفى الرؤية مطلقًا كما شاع ولكنها تنفى رؤية تدل عليها آية النجم التى احتج بها مسروق ، فحاصل ما روى عنها نفى صحة الاحتجاج بالآية المذكورة على رؤيته ﷺ ربه سبحانه ببيان أن مرجع الضمير فيها إنما هو لجبريل عليه السلام على ما يدل عليه جواب رسول الله ﷺ إياها وحمل قوله – عليه السلام – فى جوابها لا على أنه نفى للرؤية المخصوصة ،وهى التى يظن دلالة الآية عليها ، ويرجع إلى نفى الدلالة ، ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء المطلق ، ولكن هذا التوفيق لا يلائم استدلال عائشة بالآيتين السابقتين ، فالإنصاف أن الأحاديث التى رويت عن عائشة ظاهرة جدًا فى أنها تنفى الرؤية مطلقًا ، ولذا استدلت بالآيتين السابقتين [2] .

والذى تميل إليه النفس فى هذه المسألة هو إثبات الرؤية لسيدنا محمد ﷺ ليلة المعراج لما يأتى :-

أولاً : هناك العديد من الروايات التى تثبت الرؤية وهذه الروايات تعددت مصادرها ، كما تعددت درجاتها فمنها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف فلا يمكن تجاهل هذه الروايات على كثرتها .

ثانيًا : إن الأصل فى هذا الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه فى المعضلات ، وقد راجعه ابن عمر فى هذه المسألة وراسله هل رأى محمد ربه ؟ فأخبره أنه رءاه ، ولا يقدح فى هذا حديث عائشة لأنها إنما سألت النبى عن قوله تعالى : (ولقد رءاه نزلة أخرى) فأجابها بأنه جبريل ، ثم أنها – رضى الله عنها – إنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) وقوله (وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحيا ..) وقد ذكرنا المراد بهما .

---

(1) المعلم بفوائد صحيح مسلم للمازرى ج ١ ص ٩٨ .
(2) الكلمات الطيبات للشيخ محمد بخيت المطيعى ص ٢٩ .

ثالثًا : إن الصحابي إذا قال قولاً وخالفه فيه غيره ، لم يكن قوله حجة وإذا صحت الروايات عن ابن عباس فى إثبات الرؤية وقد ثبت أكثرها ، وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن ، وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم فى هذه المسألة بالظن والاجتهاد ، ثم أن ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافى ، فالحاصل أن الراجح عند أهل العلم إثبات الرؤية لمحمد ﷺ [١] .

رابعًا : ثبت بالنص القرآنى الصريح أنه تعالى : كلم موسى تكليمًا ، أي بدون واسطة وقد وصف سبحانه نفسه بالتكليم ووكده بالتكرار فقال(تكليمًا) وقد ذكر تعالى أن هذا الكلام هو نوع من الاصطفاء فقال : (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (الأعراف:١٤٤) ، فهذا كلام سمعه موسى عليه السلام باسماع الحق إياه بلا ترجمان بينه وبينه ، دله بذلك على ربوبيته ودعاه إلى وحدانيته وأمره بعبادته [٢] .

فإذا كان سبحانه وتعالى قد كلم موسى ، وفهم موسى كلامه مع اعتقادنا الكامل بأن كلام الله مغاير لكلام البشر فما الذى يمنع أن يرزق الله محمدًا القدرة على رؤيته ويكون ذلك بيانًا لفضل محمد ﷺ وعظم منزلته عند ربه ، فكما جعل لإبراهيم الخلة ، ولموسى الكلام جعل لمحمد الرؤية .

وقد سبق أن بينا أن انعدام رؤيته سبحانه فى الدنيا إنما هو عائد إلى ضعف المقدرة على الرؤية فى النفوس البشرية ، فإذا قوى الله من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع فى حقه وقد قال مالك ابن أنس : لم ير سبحانه فى الدنيا لأنه باقٍ ولا يُرى الباقى بالفانى ، فإذا كانوا فى الآخرة ورزقوا أبصارًا باقية رأوا الباقى بالباقى [٣] ، وقد سبق القول بأن كل موجود يُرى وقوله تعالى فى قصة موسى (لن ترانى) دليل على أن طبيعة تكوين البشر ليست معدة إعدادًا بحيث تستطيع أن ترى ربها ، أما الله سبحانه وتعالى فمن الممكن أن يُرى ولكن بعد تعديل طبيعتنا بحيث تقوى على رؤيته ، والدليل على ذلك أن الله

---

[١] مسلم بشرح النووى نقلاً عن صاحب التحرير ج ٣ ص ٦٢٥ بتصرف يسير .

[٢] الأسماء والصفات للبيهقى ص ٢٤٩ ط دار الكتب العلمية ط أولى سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

[٣] الشفا للقاضى عياض ج ١ ص ٢٠٠ .

تجلـــى علـــى الجبل ، وما دام تجلى على الجبل ، والجبل خلق ، فمن الممكن أن يتجلى على بعض خلقه[١]

ثم أن محمـــدًا ليس بالبشر العادى لأنه أفضل خلق الله على الله وله المنزلة العظيمة والمكانة الجليلة فما المانع أن يمنح من قوة البصر وشدة الإدراك ما يستطيع به أن يرى الله عز وجل وبالكيفية التى يريدها سبحانه .

خامسًـــا : قـــد يقول البعض ترجيح إثبات رؤية النبى ﷺ يعنى تجاهل الأحاديث الصحيحة الواردة عن عائشة وابن مسعود وغيرهما .

والرد أن هذه الأحاديث قابلة للتأويل ، وقد قال العلماء أن السيدة عائشة لم تسأل الرسول ﷺ هل رأيت ربك ليلة المعراج ؟ فأجابها بلا ، وإنما تأولت قوله تعالى : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)(الأنعام: من الآية١٠٣) .

وقد حاول العلماء الجمع بين الأحاديث فقال : يمكن القول أن قول عائشة محمول علـــى نفى رؤية الله تعالى فى نوره الذى هو نوره ، المنعوت بأنه لا يقوم له بصر ، وقول ابن عباس محمول على ثبوت رؤيته تعالى فى نوره الذى لا يذهب الأبصار بقرينة قوله فى جواب عكرمة عن قوله تعالى : (لا تدركها الأبصار) ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، وبه يظهر الجمع بين حديثى أبى ذر (نور أنى أراه) ، (رأيت نورًا) فيحمل النور فى الحديث الأول على النور القاهر للأبصار بجعل التنوين للنوعية أو للتعظيم ، والنور فى الثانى على ما يقـــوم به البصر والتنوين للنوعية ، وإن صحت رواية الأول كما حكاه أبو عبد الله المازرى بلفظ (نورانى) بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء لم يكن اختلاف بين الحديثين ويكون (نورانى) بمعنى المنسوب إلى النور على خلاف القياس)[٢] .

وقـــد أثـــبت جمع كبير من العلماء الرؤية للنبى ﷺ ليلة المعراج ومن هؤلاء جلال الـــدين الســـيوطى الـــذى يقول : (اختلف هل رأى النبى ﷺ ربه ليلة المعراج على قولين مشهورين فأثبت ذلك ابن عباس وطائفة وأنكرته عائشة والصحيح بثبوتها)[٣] .

---

(١) الإسراء والمعراج للشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٦٣ ط دار الشروق ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) انظر الكلمات الطيبات للشيخ محمد بخيت المطيعى ص ٢٩ .

(٣) الآية الكبرى فى شرح الإسراء ص ٢٠ ط دار ابن كثير – سوريا .

ويقول المرحوم عبد الحليم محمود : اختُلف فى تلك الرؤية فقيل رءاه بعينه حقيقة ، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأنس بن مالك والحسن وغيرهم وقيل لم يره وهو قول عائشة – رضى الله عنها – والصحيح الأول لأن المثبت مقدم على النافى ، أو لأن عائشة لم يبلغها حديث الرؤية لكونها كانت حديثة السن ، وقد ذهب غير واحد فى قوله تعالى : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) (النجم:٨ :١٠) إلى أنــه فى أمر القرب منه تعالى ودنوه سبحانه من الرسول ﷺ ورؤيته ﷺ إياه جل وعلا ، فالضمائر فى دنا ، تدلى ، فكان ، وأوحى ، وكذا الضمير فى (رءاه) لله عز وجل ، ولــذا قــال الآلوسى نقلاً عن الطيبى : (ولا يخفى على كل ذى لب إباء مقام (فأوحى) الحمــل علــى أن المناغاة بين المتساويين مما يضيق عنه بساط الوهم ولا يطيقه نطاق الفهم ، وكلمة (ثم) على هذا للتراخى الرتبى والفرق بين الوحيين أن أحدهما وحى بواسطة وتعليم والآخر بغير واسطة بجهة التكريم .

وقــد قــال الآلوسى ونحن نقول بقوله : أنا أقول برؤيته ﷺ ربه سبحانه وبدنوه سبحانه على الوجه اللائق .[1]

واخــتم حديثى عن هذه المسألة بما ذكره الشعراوى – رحمه الله – فى هذا الشأن يقول : لقد قال تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي أنه رأى الآية الكبرى من آيات ربــه ، فكأن آيات الله التى حدث عنها هى آيات من آيات الله وحسبها عظمة وعجبًا أن تنسب إلى الله ولكن ماذا رأى ، رأى الآية الكبرى التى هى أعلى من هذه الآيات ، لاشك أن جــبريل كان معه فى الأرض ، كان يشاركه فى هذه المرائى ، وفى السماء أيضًا كان معه جبريل ، لكن فى الآية الكبرى كانت المرحلة الأخيرة ، التى لم يقدر عليها جبريل ، ولا أحد مــن الملائكة ، وانفرد رسول الله ﷺ بها وإذا نظرنا إلى قول الحق أيضًا (ثم دنا فتدلى فكان قــاب قوسين أو ادنى) ولست مع المفسرين حين يفسرون دنا ، المدنو منه والدانى جبريل ، لأن جــبريل معه وما دام جبريل معه ، فماذا دنا ؟ فكان قاب قوسين أو أدنى ، ذلك ملحظ آخر يعطينا أن الدنو (ثم دنا فتدلى) لشئ آخر عن ربه أو ربه منه إيناس بما يكون من رؤيته للحق أو من كلام الحق له .[2]

---

[1] الإسراء والمعراج د / عبد الحليم محمود ص ١٢١ ، ١٢٢ بتصرف .
[2] الإسراء والمعراج للشيخ الشعراوى ص ٦٦ ، ٦٧ بتصرف يسير .

المبحث الرابع

السيدة عائشة وروايتها فى

فرض الصلوات الخمس

من المعلوم أن الصلاة هى أول ما أوجبه الله على عباده من العبادات وتولى سبحانه إيجابهـا بمخاطبة الرسول ﷺ ليلة المعراج من غير واسطة وقد جاء فى حديث أنس قال : فرضت الصلاة على النبى ﷺ ليلة أسرى به خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمسًا ثم نودى يا محمد إنه لا يبدل القول لدى وإن لك بهذه الخمس خمسين) [١] .

وهذا إن دل فإنما يدل على منزلة الصلاة فى الإسلام ، تلك المنزلة التى لا تعدلها أية عبادة أخرى فهى عماد الدين الذى لا يقوم إلا به وقد جاء عن الرسول ﷺ (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله) [٢] .

فالصلاة هى المعراج الذى يرقى الناس كلما تدلت بهم شهوات النفس وأعراض الدنيا كما كان المعراج رقيًا بالنبى ﷺ إلى السماء ليرى من آيات ربه الكبرى [٣].

وقد فرضت الصلاة ليلة الإسراء وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة لتواتر الأحاديث فى هذا الشأن ، وأما قبل ذلك فقد جاءت الروايات الصحيحة تؤكد تعبده ﷺ وأنه كان يصلى ويقرأ القرآن ، بل جاء فى روايات صحيحة أنه كان يتوضأ فى مكة ، فقد روى ابن عباس قال (دخلت فاطمة على النبى ﷺ وهى تبكى فقالت : هؤلاء الملأ من قريش تعاهدوا ليقتلوك فقال : ائتونى بوضوء فتوضا) [٤].

فإذا كان ثم وضوء فلابد أن تكون هناك صلاة ، وقد ذهب العلماء إلى أن صلاته ﷺ كانت ركعتين صباحًا ومثلهما مساءً كما كان يفعل إبراهيم – عليه السلام – وذلك قبل مشروعية الصلاة ليلة الإسراء [٥].

---

(١) ذكره البخارى بلفظ فيه زيادات انظر البخارى بحاشية السندى ج ١ ص ٧٤ كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة ، والنسائى ج١ ص ٣٢١ كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة وابو عوانه ج ١ ص ١٢٣ .

(٢) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ورمز لصحته ج ٤ ص ٣٨٨ خديث رقم ١٢٣٤ وقال أخرجه الطبرانى عن معاذ وكذلك أخرجه أحمد ج٥ ص ٢٣١٠

(٣) فقه السيرة للغزالى ص ١٤٤ .

(٤) فتح البارى كتاب الوضوء باب ما جاء فى قوله (إذا قمتم إلى الصلاة) ج٢ ص ٤ .

(٥) انظر نور اليقين للشيخ الخضرى ص ٧٧ .

وذكـــر صـــاحب الروض الأنف [١] : أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس ، وصلاة قبل طلوعها ويشهد لهذا قوله تعالى : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَبْكَارِ)(غافر: من الآية٥٥) .

وأمـــا تعبده ﷺ قبل البعثة النبوية فقد جاء فى حديث [٢] بدء الوحى أنه ﷺ كان يتحنث فى غار حراء الليالى ذوات العدد ثم يعود لخديجة ليتزود لمثلهن .

واخـــتلف العلماء فى تعبده آنذاك هل كان على شرع أم لا ، وما ذاك الشرع ؟ فقيل شرع نوح ، وقيل شرع إبراهيم ، وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به .

وذكـــر محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم قال : كان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء فى كل عام شهرًا من السنة يتنسك فيه وكان من نُسك قريش فى الجاهلية ، يطعم من جاء من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة [٣] .

والراجح أنه ﷺ كان يتعبد على شريعة أبيه وأبى الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – وكانت قد بقيت منها شرائع لا زالت مأثورة عند العرب ، ولا مانع أن يصاحب ذلك تعبد بالتفكر والتأمل فى ملكوت الله وبديع صنعه .

إذن نستطيع القول بأن الاوضوء والصلاة كانا موجودين قبل حادثة الإسراء لكن ليس على سبيل الفرضية بل على سبيل الندب ، وقد قال ابن حجر بعد ذكره لقوله تعالى : (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ)(المائدة: من الآية٦) تمسك بهذه الآية من قال أن الوضـــوء فُرض أول ما فُرض بالمدينة فأما ما قبل ذلك فنقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير علـــى أن غسل الجنابة إنما فرض على النبى وهو بمكة كما فرضت الصلاة ، وأنه لم يصل إلا بوضـــوء ، قال وهذا مما لا يجهله عالم ، وقال الحاكم فى المستدرك وأهل السنة بهم حاجة إلى دلـــيل الرد على من زعم أن الوضوء لم يكن قبل نزول آية المائدة ، ثم أورد حديث فاطمة السابق ، قلت : وهذا يصلح للرد على من أنكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على من أنكر وجوبه حينئذ وقد جزم ابن الجهم المالكى بأنه كان قبل الهجرة مندوبًا) [٤] .

---

[١] الروض الأنف للسهيلى ج ١ ص ٢٨٢ .
[٢] انظر صحيح البخارى بحاشية السندى ج ١ ص ٥ باب كيف كان بدء الوحى .
[٣] السيرة النبوية للحافظ ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ بتصرف .
[٤] انظر فتح البارى كتاب الوضوء باب ما جاء فى قوله (إذا قمتم إلى الصلاة) ج٢ ص٤

ما جاء عن السيدة عائشة فى فرض الصلوات :-

روى البخارى ومسلم واللفظ للبخارى عن أما المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – قالت : (فرض الله الصلاة ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فأُقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر) [١] .

وما ورد عن السيدة عائشة مخالف لظاهر القرآن ولما ثبت فى الأحاديث الصحيحة من وجوه :-

الأول :قوله تعالى : (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ)(النساء: من الآية١٠١) ، فمعنى الآية كما ذهب العلماء : إذا سافرتم فليس عليكم حرج فى تنصيف ركعات الصلاة ، ونفى الحرج يدل على جواز القصر دون وجوبه ولو كان فرضًا كما جاء فى حديث عائشة – رضى الله عنها – ما استطاع أحد تركه بل وجب على كل مسافر أن يقصر وهذا غير ثابت [٢] .

فظاهر حديث عائشة مخالف لظاهر القرآن لأنه يدل على أن الصلاة فرضت فى الأصل ركعتين فاستمرت فى السفر كذلك وزيدت فى الحضر ، وظاهر الآية السابقة أنها كانت أربعًا فنقصت .

يقول ابن حجر : قول السيدة عائشة (الصلاة) تعم الخمس وهو مخصوص بخروج المغرب مطلقًا والصبح بعدم الزيادة فيها فى الحضر ، والعام إذا خُص ضعفت دلالته حتى اختلف فى بقاء الاحتجاج به [٣] .

الثانى : ثبت فى صحيح مسلم وغيره (أن الصلاة فرضت فى الحضر أربعًا وفى السفر ركعتين وفى الخوف ركعة) روى هذا الحديث مسلم عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – ورُوى مثله عن عمر وجبير بن مطعم ، وقد نص العلماء أن أقوال الصحابة إذا تعارضت ولم يمكن الجمع بينها قُدم ابن عباس لأن النبى ﷺ بشره بذلك حين قال : (اللهم علمه التأويل) [٤] .

---

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة ج١ ص ٧٤ ، ومسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ج٥ ص ١٩٤ ، وانظر شرح السنة للبغوى ج٤ ص ١٦٤٠

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوى ص ١٣٤ .

(٣) فتح البارى ج٢ ص ٦٣٣ كتاب تقصير الصلاة باب يقصر إذا اخرج من موضعه .

(٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ٢ ص ١٧٢ .

وعلـــى هذا فنحن مع قول ابن عباس فى فرضية الصلاة وأنها أربع ركعات ما عدا المغرب والصبح ... ثم إن قول ابن عباس يتفق مع ما جاء من الروايات الصحيحة والتى تثـبت نـــزول جـــبريل صبيحة ليلة الإسراء وتعليمه الرسول ﷺ كيفية الصلاة على هيئتها المعلـــومة بأعداد ركعاتها المعروفة فقد روى البيهقى وغيره عن الحسن البصرى قال (أن نبى الله ﷺ لما جاء بهن إلى قومه – يعنى الصلوات – خلى عنهم حتى إذا زالت الشمس عن بطن الســـماء نودى فيهم الصلاة جامعة ففزعوا لذلك واجتمعوا فصلى بهم رسول الله ﷺ الظهر أربـــع ركعـــات لا يقرأ فيها علانية رسول الله بين يدى الناس وجبريل بين يدى رسول الله يقـــتدى الناس برسول الله ويقتدى رسول الله بجبريل ، ثم خلى عنهم حتى تصوبت الشمس وهى بيضاء نقية نودى بهم الصلاة جامعة فاجتمعوا لذلك فصلى بهم رسول الله العصر أربع ركعـــات دون صلاة الظهر رسول الله بين يدى الناس وجبريل بين يدى رسول الله يقتدى الـــناس برسول الله ويقتدى رسول الله بجبريل ، وهكذا فعل فى كل الأوقات حتى انتهى من صلاة الفجر فى اليوم التالى) [١] .

وقد قال البيهقى بعد ذكره للحديث (وفى هذا الحديث وما روى بمعناه دليل على أن ذلك كان بمكة بعد المعراج وأن الصلوات الخمس فرضت حينئذ بأعدادهن وقد ثبت عن عائشة – رضى الله عنها – خلافه [٢] .

الثالث : أن السيدة عائشة فعلت ما يخالف قولها فقد كانت تتم فى السفر وقد جاء فى كتب الحـــديث ما يؤكد ذلك فقد جاء عنها أنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ وقالت يا رسول الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال ﷺ أحسنت يا عائشة [٣] .

فكيف تتم وهى تعلم أن القصر هو الفرض ؟؟

وقد مال القرطبى إلى أن حديث عائشة فى فرض الصلاة ضعيف المتن لا السند لأنه جـــاء بروايات فيها اضطراب فروى ابن عجلان عن صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقى ج٢ ص ٤٠٦ والسنن الكبرى للبيهقى ج ١ ص ٣٦٢ .
(٢) دلائل النبوة للبيهقى ج ٢ ص ٤٠٦ .
(٣) أخرجه النسائى ج ٣ ص ١٢٢ باب المقام الذى يقصر بمثله الصلاة ، وانظر فتح البارى ج٢ ص ٦٦٤ كتاب تقصير الصلاة باب يقصر إذا خرج عن موضعه ، وأنوار التنزيل للبيضاوى ص ٥٤٦ .

قالت : فرض رسول الله ﷺ ركعتين ركعتين ... الحديث ، وجاء أيضًا بلفظ فُرضت على صيغة المبنى للمجهول وهذا كله مما ضعف الحديث من حيث المتن لا السند [١] .

وأما ما أثبته ابن جرير فى تاريخه من أن الصلاة زيدت فى السنة الأولى للهجرة فقد عبر عنه بلفظ يدل على التضعيف قال وفى السنة الأولى من الهجرة زيد فى صلاة الحضر فيما قيل ركعتان وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتان وذلك بعد مقدم الرسول ﷺ المدينة بشهر زعم الواقدى أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فى ذلك [٢] .

الرابع : وإذا ثبت صحة متن الحديث فيحتمل أن يكون مراد السيدة عائشة الصلاة التى كانت فى بدء الإسلام ، وقبل حادثة المعراج وقد سبق الذكر أنه ﷺ كان يصلى ركعتين صباحًا ومثلهما مساءًا وقد قال ابن كثير بعد ذكره لأقوال الصحابة فى تفسير قوله تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) (هود:١١٤) (يحتمل أن تكون الآية نزلت قبل فرض الصلاة ليلة الإسراء فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل الغروب ، وفى أثناء الليل قيام عليه وعلى الأمة ، ثم نسخ فى حق الأمة وثبت وجوبه عليه ثم نسخ عنه أيضًا فى قول والله أعلم [٣].

ولذا قال السهيلى : يحتمل أن يكون قول عائشة (فرضت الصلاة ركعتين) أي قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السلف منهم ابن عباس ، ويكون مراد عائشة من قولها (فزيد فى صلاة الحضر) أي زيد فيها ليلة الإسراء حين أكملت خمسًا ، وعليه تكون الزيادة فى عدد الركعات وفى عدد الصلوات [٤] .

الخامس : أن السيدة عائشة عبرت فى روايتها بلفظ الفرض فقالت (فُرضت) وفى الرواية الأخرى (فرض) والفرض يطلق فى اللغة على أكثر من معنى فهو من قبيل المشتركات اللفظية ، قال ابن منظور : (فرضت الشئ أفرضه فرضًا) أي أوجبته ومنه قوله تعالى : (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا)(النور: من الآية١) أي ألزمناكم العمل بما فُرض فيها ، والفرض

---

[١] الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٣٥٢ بتصرف .
[٢] تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٥٩ .
[٣] تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .
[٤] الروض الأنف للسهيلى ج ١ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

السنة نقول : فرض رسول الله كذا أي سنه ، والفرض القراءة يقال فرضت جزئى أي قرأته والفرض الهبة ، والفرض التقدير [١] .

وأرجح المعانى التى لا تتعارض مع ما جاء فى آية قصر الصلاة والأحاديث السابقة أن يكـــون الفرض بمعنى التقدير لذا قال المازرى بعد ذكره لحديث عائشة احتج من قال أن قصر الصلاة فرض بحديث عائشة السابق ويصح الانفصال عنه بأن يحتمل أن تريد بقولهـــا : (فرضـــت الصلاة) أي قدرت ثم تركت صلاة السفر على هيئتها فى المقدار لا فى الإيجاب والفرض فى اللغة يكون بمعنى التقدير [٢] .

الســـادس : ثـــبت فى حديث المعراج أن الصلاة فرضت فى الأصل خمسون صلاة فى اليوم واللـــيلة ثم راجع سيدنا محمدًا ﷺ ربه يطلب منه التخفيف بناءً على مشورة موسى – عليه السلام – وهذا ثابت بأحاديث لا تحصى ، فإذا عرفنا ذلك فالقول بصحة حديث عائشة من حيث المتن وعدم تأويله ينتفى معه ما ثبت من قصد التخفيف ، وذلك بالمراجعات التى كانت بـــين محمد ﷺ وربه ، وهو يقول إن أمتى لا تطيق ذلك حتى أصبحت خمسًا بأجر خمسين ، فكيف يصير الأمر بعد هذا التخفيف إلى التشديد مرة أخرى بزيادة عدد الركعات .

يقول صاحب فتح المنعم : ظاهر رواية عائشة أن الصلاة فيما عدا المغرب والصبح فرضـــت أولاً ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر ثم زيد الظهر والعصر والعشاء إلى أربع فى الحضر ، والجمهور على خلاف هذا الحديث ، ولذا قال الأصيلى : أول ما فرضت الصلاة أربعًـــا على هيئتها اليوم وأنكر قول من قال فرضت ركعتين ، وقال : لا يقبل فى هذا خبر الأحاد وأنكر حديث عائشة .

ولســـنا مـــع الأصيلى فى رده لحدث عائشة من حيث السند لأنه حديث صحيح مروى فى الصحيحين وغيرهما بطرق كثيرة ومشهورة وإسناد أكثرها ليس فيه مقال ولكن لما كـــان ظاهره يتعارض مع قوله تعالى : (وإذا ضربتم فى الأرض .... الآية) فالآية تدل دلالـــة صريحة على أن الأصل الإتمام إذ القصر معناه التنقيص فهى صريحة فى أنها كانت فى الأصـــل زائدة على الركعتين ، ولما كان ظاهر حديث عائشة يتعارض مع ما لوحظ فى أول فرض الصلاة ليلة المعراج من قصد التخفيف على الأمة إذ الانتقال من الأثنين إلى الأربع فيه تشـــديد ، ولما كان ظاهره يتعارض مع عملها إذ كانت تتم – رضى الله عنها – فى السفر

---

[١] لسان العرب ج ٥ ص ٣٣٨٧ : ٣٣٨٩ باب فرض بإيجاز .
[٢] المُعلم بفوائد مسلم ج ١ ص ٢٠٧ .

وراوى الحديث إذا خالف قوله عمله لا يجب العمل بروايته أو تؤول ، ولما كان الأمر كذلك كـــان من الأولى تأويل حديث عائشة وخير تأويل له أن نقول : أن المراد بقولها (فرضت) أي قدرت [١] .

وقد نقل ابن سيد الناس عن أبي إسحاق الحربي قال : أول ما فرضت الصلاة بمكة فرضت ركعتين فى أول النهار وركعتين آخره [٢] ، وبهذا يتأكد لنا أن المراد بقولها – رضى الله عنها – فرضت أي قدرت وليس المراد ما فُرض ليلة المعراج ، ولذا قال بعض العلماء : أجمـــع المســـلمون أن فرض الصلاة فى الحضر أربع إلا المغرب والصبح لا يعرفون غير ذلك عمـــلاً ونقلاً مستفيضًا ولا يضرهم الاختلاف فيما كان أصل فرضها إذ لا خلاف فيما آل إليه أمرها واستقر عليه حالها ..

*****

---

[١] انظر : فتح المُنعم بشرح صحيح مسلم د / موسى لاشين ج ٣ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ بتصرف يسير .

[٢] انظر عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد النسا ج ١ ص ١٨٣ : ١٨٦ بإيجاز وتصرف .

الخاتمـــــــة

الحمـــد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، الذى قال فى كتابه الخالد :(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)(فاطر: من الآية ١٠) وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ٠٠٠ وبعـــــد :-

فهـــذا مـــا يسره الله لى فقمت بتحريره قدر طاقتى ، ولعلى أكون قد وفيت هذه الدراسة بعضًا من حقها ، ووضحت ما يحتاج إلى بيان ، فى شأن تلك القصة العجيبة التى تعد معجـــزة كـــبرى للرسول ﷺ وقبل الختام أود الإشارة إلى بعض الدقائق المستخلثة من آية الإسراء وهـــى :-

أولاً : أن حادثـــة الإســـراء هى معجزة من معجزات الرسول ﷺ والمعجزة هى نعمة من نعمات الحق يجريها سبحانه على يد أحد أنبيائه – عليهم السلام – وهى ليست من صـــنع الـــنبى وإنما من صنع الله ، وهى فى دلالتها على صدق النبى قائمة مقام قوله تعالى فيما لو أسمعنا كلامه : (صدق عبدى فيما يبغه عنى)[١] ٠

ثانيًا : أن المعجزات أنواع منها ما هو حسى ، وما هو معنوى والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة أبد الدهر ، وهو المعجزة الثابتة بالتواتر المفيد للقطع واليقين بلا ريب ، أما المعجزات الأخرى فمنها ما هو ثابت بالتواتر ومنها ما لم يثبت ٠

ثالثًا : أن قصة الإسراء ليست من قبيل المستحيلات العقلية فهى وإن كان فيها نوع مخالفة للسنن الكونية المعروفة إلا أنها داخلة فى نطاق الممكنات العقلية ، نعم قد تستغرب وقد يتعجب منها إلا أنها فى حدود الممكن العقلى خاصة مع علمنا أنها تصدر بقدرة الله تعالى الذى لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء ٠

رابعًـــا : أن الإســـراء من المعجزات الحسية الثابتة بالكتاب والسنة أما المعراج فهو ثابت بالالتزام لأنه تعالى لم يقل سبحانه الذى عُرج به من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى ، وإنمـــا أشار إلى أشياء تستلزم أنه صعد فقال : (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ٠٠٠٠٠ الآيات) (النجم ٧ :٨) ٠[٢]

---

[١] الإسراء والمعراج د / محمد أبو شهبه ص ١١ ٠

[٢] الإسراء والمعراج للشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٤٨ ٠

خامسًا : ذهب العلماء إلى أن منكر الإسراء يكون كافرًا لأنه صادم النص القرآنى والذى ينكر المعراج لا يكون كافرًا ولكنه يكون فاسقًا لأن الإسراء بالنص الصريح والمعراج بدلالة الالتزام كما ذكرنا [١] .

سادسًا : استهل سبحانه وتعالى الحديث عن قصة الإسراء بقوله (سبحان) حتى يكونَ أول ما يقرع السمع الإنسانى قبل الحديث عن هذه المعجزة ولفظ (سبحان) هى تنزيه لله تعالى كأنه يقول تنزيه فعلى عن أفعالكم وفى ذلك بيان لعظم القصة وبيان لمزيد فضل الله تعالى على محمد ﷺ .

سابعًا : أن الله تعالى نسب الإسراء إلى نفسه ولم ينسبه إلى الرسول ﷺ فقال : (سبحان الذى أسرى) وفى ذلك تأكيد على أن الذى أسرى هو الله ومحمد هو الذى أسرى به ، فمحمد هنا محمول على قانون خالقه وهو الحق سبحانه فإذا كان الفعل من الله تعالى فلا نعترض على الفعل بقانون البشرة وما دام الله هو الفاعل فلا تحكم للزمان فيه ولا تحكم للمسافة فيه . [٢]

ثامنًا : قوله تعالى : (إلى المسجد الأقصى) قيل لم يكن المسجد الأقصى مسجدًا ولم يكن النبى ﷺ صلى فيه فلماذا قال تعالى (إلى المسجد الإقصى) ، والجواب أن المسجد هو الذى يسجد فيه واحد المساجد ، وقال الزجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾(البقرة: من الآية١١٤) ، فالمعنى من أظلم ممن خالف ملة الإسلام ، وقوله : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ (الجن: من الآية١٨) ، أراد أن السجود لله [٣] ، والتوجه بالعبادة يكون له فالمسجد اسم مكان لمكان السجود ، والسجود جاء فى كل الرسالات ، وقد قال تعالى : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران:٤٣) وقال فى قصة الكهف : ﴿لَتُشْرِفَنَّ عَلَيْهِمْ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف: من الآية٢١) فكلمة المسجد لم تأت مع الإسلام ، ولإنما شاعت مع

---

[١] المرجع السابق ص ٥١ .
[٢] الإسراء والمعراج للشعراوى ص ٥٥ .
[٣] لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ١٩٤٠ باب سجد .

الإســـلام ، فلمـــا كـــان المسجد الأقصى مكاناً لسجود الأنبياء والعباد سماه الله المسجد الأقصى [١] .

تاسعًا : أن الحكمة البالغة فى الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس أولاً ثم العروج به إلى السموات للإيذان بأن عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام– وحتى خاتم الأنبياء محمد ﷺ واحدة ، يقول سيد قطب : (كأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول ﷺ لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بهما جميعًا فهى رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكـــان ، وتشمل آمادًا وآفاقًا أوسع من الزمان والمكان ، وتتضمن معانى أكد من المعانى القريبة التى تتكشف عنها للنظرة الأولى . [٢]

عاشرًا :أن الإســـراء كان تكريمًا للنبى ﷺ وكذلك المعراج لأن فيه قربًا من الله تعالى ، وفيه أيضًا تكريمًا لأمة محمد ﷺ وذلك بفرض الصلوات الخمس فى الملأ الأعلى وفى ذاك المشهد العظيم فالصلاة هى أعظم المنح الإلهية فى الإسراء والمعراج بل أعظمها على الإطـــلاق فالصلاة هى الصلة به سبحانه وهى الكيفية ، وهى اللحظات الجليلة التى تتم فيها الصلة بين العبد وربه .

وفى فرضها فى السموات العلا بيان لأهميتها فمن أقامها أقام الدين ومن هدمها هدم الـــدين ، ومـــا من شك فى أن الصلاة التى يقيمها الإنسان كما أراد الله ورسوله من أنجح الوسائل فى القرب إلى الله إنها البراق الذى يجتاز به المؤمن طبقات البعد عن الله ليتقرب إليه فينعم بالسعادة فى الدنيا والآخرة . [٣].

هـــذا فيما يختص بالدقائق المتعلقة بآية الإسراء ، بقى أن نقول : إن ما ذكرناه من روايات عن السيدة عائشة – رضى الله عنها فى تلك الحادثة والتى تحدثنا عنها خلال البحث – هذه الـــروايات وما وقفنا عليه من ضعف فى بعضها وتأويل فى بعضها الآخر لا يقلل من المنزلة الـــرفيعة والمكانة العالية للسيدة عائشة ، فهى الراوية لأحاديث خير الأنام ﷺ وهى المبلغة لـــربع الأحكام ، بل تظل هذه المكانة العلمية العظيمة باقية ما بقى الدهر ، وكيف لا وهى

---

[١] الإسراء والمعراج للشعراوى ص ٤٣ .
[٢] فى ظلال القرآن لسيد قطب ج ص ط دار الشروق .
[٣] الإسراء والمعراج للإمام عبد الحليم محمود ص ١٣٢ .

التى تربت فى أحضان الرسالة واستقت العلم من منهله العذب السائغ ، وتفقهت على يد الرسول الكريمة ، وتحت هديه وإرشاده المستقيم .

وأخيرًا .. اسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفعنى به فى دنـــياى وآخرتـــى ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى ، ويثقل به موازينى إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نبى الهدى والبر والرحمة وعلى آله وصحابته ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

د / الهام يوسف صحصاح
استاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
كلية البنات الإسلامية أسيوط

ثبت بأهم المراجـــع

أولاً : القرآن الكريم ٠

ثانيًا : المراجع الأخرى :-

١. الاتقـــان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى ط مصطفى البابى الحلبى ط رابعة ١٣٩٨هـــ - ١٩٧٨م٠

٢. الإجابـــة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشى ط المكتب الإسلامى ط رابعة ١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥م٠

٣. أســـباب الـــنزول للواحدى ط دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية سنة ١٤١١هـــ - ١٩٨٥م٠

٤. أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ط دار الشعب ٠

٥. الإسراء والمعراج د /عبد الحليم محمود ط دار المعارف ٠

٦. الإسراء والمعراج / محمد متولى الشعراوى ط دار الشروق ١٤٠٠هـــ - ١٩٨٠م٠

٧. الإســـراء والمعـــراج / محمد بن محمد أبو شهبه ط مكتبة السنة ط ثانية ١٤٠٨هـــ ٠

٨. الإصـــابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى / المكتبات الأزهرية ط أولى ١٣٩٦هـــ - ١٩٧٦م٠

٩. أعلام النساء / عمر رضا كحاله مؤسسة الرسالة ٠

١٠- أنوار التنزيل للبيضاوى ط دار الجيل ٠

١١- الآية الكبرى فى شرح الإسراء للسيوطى ط دار ابن كثير سوريا ٠

١٢- البحر المحيط لأبى حيان - الناشر مكتبة النصر الحديثة ٠

١٣- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ط دار المعارف بيروت ط ثالثة سنة ١٩٨٣م٠

١٤- البرهان فى علوم القرآن للزركشى ط دار المعرفة بيروت لبنان ٠

١٥- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى ط دار الفكر ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م٠ ط دار سويدان لبنان ٠

١٦- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط دار التونسية للنشر .
١٧- تحفة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى .
١٨- تفسير القاسمى - لجمال الدين القاسمى ط دار الفكر .
١٩- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٢٠- التفسير الكبير للفخر الرازى ط دار الكتب العلمية طهران ط ثانية .
٢١- التفسير والمفسرون د / محمد حسين الذهبى الناشر مكتبة وهبه ط ثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.
٢٣- جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى ط دار المعرفة لبنان ط رابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٢٤- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى .
٢٥- جمع الجوامع لجلال الدين السيوطى .
٢٦- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ط دار صادر بيروت لبنان .
٢٧- حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ط دار الفكر بيروت لبنان ١٩٩٣م - ١٤١٤هـ .
٢٨- خلاصة الأثر فى سيرة سيد البشر الشيخ أحمد محمد غسان ط دار إحياء العلوم بيروت لبنان ط ثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٩- دلائل النبوة للبيهقى ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
٣٠- روح المعانى للآلوسى ط دار إحياء التراث - لبنان ط رابعة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣١- الروض الأنف للسهيلى ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة .
٣٢- زاد المعانى فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ط المطبعة المصرية ومكتبتها .
٣٣- سبل الهدى والرشاد للصالحى ط دار الكتب العلمية لبنان ط أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٤- سنن الترمذى لابى عيسى الترمذى ط الحلبى ٠
٣٥- السنن الكبرى للبيهقى ط دار المعرفة بيروت لبنان ٠
٣٦- سنن النسائى ط دار الكتاب العربى بيروت ٠
٣٧- السيرة النبوية لابن هشام ٠
٣٨- السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ط المكتبة العصرية لبنان ط أولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م٠
٣٩- السيرة النبوية للحافظ ابن كثير ٠
٤٠- السيرة النبوية لمحمد بن محمد بن شهبة ط دار القلم دمشق ط ثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م٠
٤١- شرح السنة للبغوى ط المكتب الإسلامى ط ثانية سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م٠
٤٢- الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى للقاضى عياض ط دار الكتب العلمية بيروت ٠
٤٣- صحيح البخارى بحاشية السندى ط دار التراث العربى القاهرة ٠
٤٤- صحيح مسلم بشرح النووى ط المطبعة المصرية ومكتبتها ٠
٤٥- الطبقات الكبرى لابن سعد ط دار صادر بيروت لبنان ٠
٤٦- العقد الفريد لابن عبد ربه ٠
٤٧- عين الإجابة فى استدراك عائشة على الصحابة لجلال الدين السيوطى
٤٨- عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس ط دار الأفاق الجديدة بيروت ط ثالثة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م٠
٤٩- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ط دار الريان للتراث ط أولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م٠
٥٠- فتح القدير للمناوى ٠
٥١- الفتوحات الآلهية للجمل ط دار إحياء الكتب العربية ٠
٥٢- الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد على مختصر شرح (بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى للبنا الشهير بالساعاتى) ٠

٥٣- فتح المنعم بشرح صحيح مسلم د / موسى شاهين لاشين ط دار الشروق ط أولى سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٥٤- الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ط مكتبة السلام الاقاهرة .
٥٥- الفصول فى سيرة الرسول للحافظ ابن كثير .
٥٦- فى ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق .
٥٧- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٥٨- فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى ط دار الريان للتراث ط أولى سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٥٩- القاموس المحيط للفيروز أبادى ط دار الكتاب العربى .
٦٠- القرآن العظيم هدايته وإعجازه د / محمد الصادق عرجون ط مكتبة الكليات الأزهرية ط أولى ١٩٨٦هـ - ١٩٦٦م.
٦١- القول المبين فى سيرة سيد المرسلين د / محمد الطيب النجار الناشر مكتبة ابن الطيب .
٦٢- كتاب الأسماء والصفات للبيهقى ط دار الكتب العلمية لبنان ط أولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
٦٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ط دار المعرفة بيروت لبنان .
٦٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلونى ط مؤسسة الرسالة ط ثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٦٥- الكلمات الطيبات فى المأثور عن الإسراء والمعراج من الروايات للشيخ بخيت المطيعى ط المطبعة السلفية .
٦٦- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للبرهان فورى ط الرسالة .
٦٧- لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف .
٦٨- لقط اللالئ المتناثرة فى الأحاديث المتواترة للزبيدى ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٦٩- مجمع الزوائد للهيثمى .

٧٠- المستدرك للحاكم النيسابورى ٠
٧١- مسند الإمام أحمد ط المكتب الإسلامى ٠
٧٢- المعجم الأوسط للطبرانى ٠
٧٣- المعجم الكبير للطبرانى ط دار التراث ط ثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
٧٤- المُعلم بفوائد مسلم للمازرى ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م٠
٧٥- المنار لابن قيم الجوزية ط إدارة الطباعة المنيرية – مصر ٠
٧٦- منهاج السنة لابن تيمية ط دار الكتب العلمية لبنان ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦ م٠
٧٧- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعسقلانى ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ٠
٧٨- النجوم الزهراء من تفسير سورة الإسراء د / محمد كامل مهران ط الأمانة ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م٠
٧٩- نهج البردة لأحمد شوقى ٠
٨٠- نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين / محمد الخضرى ط مكتبة الغزالى ط ثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م٠

****